جامعة المنصورة

كليـة الآداب

" رسالة فى شرح الجنة والنار "

لعزيز الدين النسفى

" دراسة وترجمة "

إعـــداد

دكتور / دعاء على عبداللطيف المرسى

مدرس الأدب الفارسى الكلاسى

كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الخامس و الخمسون – أغسطس ٢٠١٤

" رسالة فى شرح الجنة والنار " لعزيز الدين النسفى

دراسة ترجمة

د/ دعاء على عبداللطيف المرسى

ملخص البحث

يدور البحث حول الجنة وثوابها ، والنار وعقابها من خلال الطريق الصوفى . وما يجب على السالك أو المريد أن يتبعه بدءاً من الرياضات والمجاهدات ، مروراً بالأحوال والمقامات ، وانتهاء بالحقيقة ودورها فى معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدته .

ويرى المؤلف أن حقيقة الجنة فى الموافقة أى موافقة سلوك العبيد للشريعة من أمر ونهى وحقيقة النار فى المخالفة أى مخالفة العبد للشريعة . وأن أبواب الجنة الثمانية تعمل بأمر العقل ، بينما أبواب النار تعمل بأمر الطبيعة . وأضاف المؤلف جنة تاسعة يوجد على بابها شجرة الهمة والقدرة ، فمن يصل إليها يتولى الله أموره وأفعاله .

والجدير فى هذا البحث أشجار الجنان الموجودة على أبوابها، فشجرة الإمكان للجنة الأولى ، وشجرة الوجود للجنة الثانية ، للثالثة شجرة المزاج ، وللرابعة وشجرة العقل ، شجرة الخلق للخامسة ، شجرة العلم للسادسة وشجرة نور الله للسابعة، وشجرة المشاهدة للثامنة .

Abstract

The present research revolves around Paradise and its Reward and Hell with its punishment through the Sufi route. It also hands what the advocate should follow starting from sports and struggles through conditions and Maqamat and ending with truth and its role in viewing and recognizing Allah Almighty.

The author views the truth of paradise as manifest in the worshipper's concord with jurisprudence (Share'a) including "dos's" and "don'ts". Add to this the truth of hell in deviating from jurisprudence (Share's). The research also holds that the eight doors of paradise function according brain orders while those of hell function according to Nature. The researcher further adds a nineth paradise at whose door there is the Zeal and Ability tree; this who reaches it Allah Almighty takes care of his affairs and deeds.

What is innovative in this research are the paradise Trees found at its doors as the Ability Tree for the first paradise, that of existence for the second, that of the Mood for the third, that of the bran for the fourth, that of creation for the fifth, that of science for the sixth, that of Allah's light for the seventh and that of viewing for the eighth.

قال رسول الله ﷺ: " حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره " صدق رسول الله . فالشهوات التى حفت بها النار تضم المال والنساء والأبناء والجاه، أما المكاره التى حفت بها الجنة فهى الصبر والفقر والألم والغدر..

من هنا كان اختيارى لرسالة " فى شرح الجنة والنار " لعزيز الدين النسفى والتى تقع فى ستة فصول حيث تدور حول الطريق الصوفى ، فمن خلاله يبلغ السالك درجات الجنة أو دركات النار . وقد قسمت البحث إلى قسمين :

جاء القسم الأول ؛ تحت عنوان : الجنة وثوابها ، والنار وعقابها من خلال الطريق الصوفى . وما يجب على السالك أو المريد أن يتبعه بدءاً من الرياضات والمجاهدات، مروراً بالأحوال والمقامات وانتهاء بالحقيقة ودورها فى معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدته من خلال علم اليقين وعين اليقين .

أما القسم الثانى : فهو ترجمة رسالة " فى شرح الجنة والنار " مع تأصيل الآيات القرآنية

والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة وأقوال رجالات التصوف الواردة فى الرسالة .

القسم الأول : الجنة وثوابها والنار وعقابها من خلال الطريق الصوفى :

ويتكون من تمهيد وأربعة فصول .

أما **التمهيد** فيدور حول مولد الشيخ وأسفاره ومؤلفاته .

الفصل الأول : حقيقة الجنة والنار وأوصافها وأوصاف أربابها .

الفصل الثانى : أبواب الجنة والنار وأشجارها وأربابها .

الفصل الثالث : الجنة أو النار والطريق الصوفى .

الفصل الرابع : الجنان عند عزيزالدين النسفى وكيفية الوصل إليها .

ثم الخاتمة ، فقائمة المصادر والمراجع .

القسم الأول : الجنة وثوابها والنار وعقابها من خلال الطريق الصوفى :

تمهيد : عزيزالدين النسفى ، المولد والأسفار والمؤلفات :

يقول المستشرق الفرنسى " ماريژان موله ": ليس هناك دراسة جادة ودقيقة عن حياة النسفى بتفصيلاتها والتى مرت عليه اللهم إلا ما ذكر عن الاختلاف عن ولادته ووفاته أو أسفاره التى عانى فيها الكثير أو الحديث عن أفكار وقضايا بعض مؤلفاته . كان الشيخ عبدالعزيز محمد النسفى المعروف بالشيخ عزيزالدين النسفى من كبار الصوفية فى القرن السابع الهجرى ولد فى نسف (نخشب اليوم) بإقليم خوارزم وقضى جزءاً من حياته فيه .

فكان الشيخ يعيش فى بلاد ببخارى وخوارزم التى تُعد من أعظم مراكز العلم والأدب والمعرفة آنذاك حيث هرب من فتنة المغول وقصد أبرقوه . توجه إلى بخارى وأقام فيها سنوات طوال حتى بلغ مدن خراسان ، واعتكف بجوار مرقد مرشده الروحى وشيخه سعدالدين حمويه أحد تلاميذ محيى الدين بن عربى ، أما الشيخ النسفى فقد قيل إنه قابل تلميذ ابن عربى الشيخ صدرالدين القونوى ، ومن خلال تتبع أعمال النسفى تتجلى أفكار ابن عربى فى جل كتاباته .

أما عن مذهب النسفى ، فكان يعتنق المذهب الشيعى وأفكاره والتى تتجلى فى كتاب الشيخ المسمى بـ " كشف الحقائق " ؛ حيث قدم فيه فصولاً عن الشريعة والعقائد من خلال شخصيتين سنيتين هما الشيخ أبومنصور الماتريدى والشيخ محمد الغزالى وشخصية شيعية تدعى أبوجعفر الطوسى موضحاً آراءهم واجتهاداتهم حول شريعة وعقائد كل طائفة منهما[١] .

وكان النسفى أيضاً أديباً وشاعراً . أما عن بعض مؤلفات الشيخ التى كتبت أغلبها بالفارسية هى :

١ – مقصد الأقصى ، ويضم فيه أقواله وعقائده .

٢ – زبدة الحقائق ، وهو ملخص من رسالة المعاد .

٣ – كتاب التنزيل أو بيان التنزيل .

٤ – مجموعة رسائله المعروفة بالإنسان الكامل .

٥ – منازل السائرين .

٦ – كشف الحقائق .

٧ – آغاز وانجام .

٨ – أسرار التصوف وخواص الحروف .

٩ – أسرار القابلية .

١٠ – أسرار الوحى .

١١ – سلوك مقامات .

١٢ – لوح محفوظ وعالم صغير .

١٣ – وحدت وجود .

أما عن رسالة " دربيان بهشت ودوزخ " – محل الدراسة – فهى ضمن عشرين رسالة جمعهم الشيخ فى كتاب الإنسان الكامل وقام بتصحيحه والتقديم له " ماريژان موله " وترجم المقدمة إلى الفارسية د. سيد ضياء الدين دهشيرى .

وقد قام الشيخ بكتابة هذه الرسائل نزولاً على رغبة سالكى الطريق لتكون نبراساً ومؤنساً ودستوراً لهم فى الطريق إلى الله .

الفصل الأول : حقيقة الجنة والنار وأوصافها وأوصاف أربابها

وردت **الجنة** فى **القرآن الكريم** بمعان مختلفة ، فالجنة تعنى **البستان** كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ (البقرة / ٢٦٦) ، كما وردت **كموطن لآدم** قبل هبوطه إلى الأرض إذ يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ أُسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً ﴾ (البقرة / ٣٥) ، وتعنى أيضاً **ثواب الآخرة** وهى محل رضا الحق عن عبده ، رضا خالد فى مقابل النار محل الغضب . قال تعالى ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران / ٣٥) .

والجنة هى **النعيم المستور** المتجدد مع الأنفاس ، وهى **دار الفضل والقربة** والجمال الموجود من الكرم فى مقابل النار أو جهنم .

والجنة – **فى اللغة** . تعنى **الستر**[٢] ، لذلك فكل من له رتبة الستر فهو جنة ، فالعبد هو جنة الله من اسمه المتجلى فيه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر / ٣٠) .

أما **النار** فقد وردت فى القرآن الكريم ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة / ٢٤) ، **فهى منزل الآخرة للأشقياء الظالمين** ، وهى نار حقيقية وقودها الناس والحجارة ، لها دركات فى مقابل درجات الجنة ، وقد خلق منها إبليس . والنار فى **اللغة** – تدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات ، منه النور والنار " [٣] .

ويتحدث عزيزالدين النسفى عن حقيقة الجنة والنار قائلاً :

" اعلم – أعزك الله فى الدارين – أن حقيقة الجنة الموافقة ، وحقيقة النار المخالفة ، وحقيقة الخير إدراك المراد، وحقيقة الشر عدم إدراك المراد...

فكل الأقوال والأفعال المقبولة والأخلاق الحميدة أبواب للجنة (بينما) كل الأقوال والأفعال غير المستحبة والأخلاق الذميمة أبواب للنار " (٤) .

أى أن استمرار الإنسان فى ارتكاب الذنوب والمعاصى ، والعدول عن الاستقامة يؤدى به إلى النار ، مثلما حدث لإبليس الذى كان ابتداؤه رئيساً للملائكة وأشدهم اجتهاداً فى العبادة ، ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين . كذلك فإن ضعف الإيمان يضعف حب الله تعالى ، ويقوى حب الدنيا فى قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثر فى مخالفة النفس ، ولا يؤثر فى الكف عن المعاصى ولا فى الحث على الطاعات ، فينهمك فى الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب .

يقول النسفى فى ذلك :

" أيها الفقير ! يظل أغلب الناس فى النار ، ولا يستطيعوا المرور منها " ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الضالون﴾ (*)(٥) . وقد أشار النسفى إلى الآية الكريمة السابقة ليوضح أن جهنم يدخلها الإنسان بنفسه الحيوانية .

وتفسير الآية الكريمة منْ خلقه لجهنم – متى يستوجب الجنات، ومَنْ أهَّله للسخطة – أنى يستحق الرضوان ؟ ولولا انسداد البصائر وإلا فأى إشكال بقى بعد هذا الإيضاح ؟ ويقال هم – اليوم – فى جحيم الجحود ، مقَّرنين فى أصفاد الخذلان، ملتبسين ثياب الحرمان ، طعامهم ضريع الوحشة ، وشرابهم حميم الفرقة، وغداهم همٌ فى جحيم الحرقة . فهم لا يفقهون معانى الخطاب ، وليس لهم تمييز بين خواطر الحق وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان ، ولهم أعين لا يبصرون بها شواهد التوحيد وعلامات اليقين ، فلا ينظرون إلا من حيث الغفلة ، ولا يسمعون إلا دواعى الفتنة ، ولا ينخرطون إلا مع من سلك ركوب الشهوة . " هم كالأنعام بل أضل" ، لأن الأنعام قد رفع عنها التكليف ، وإن لم يكن لها وفاق الشرع ، فليس منها أيضاً خلاف أمر . والأنعام لا يهمها إلا الاعتلاف ، فكذلك من أُقيم بشواهد نفسه وكان من المربوطين بأحكام النفس (٦) .

لذا يقول النسفى :

" ... ومن ثم فإن المرور على النار سوف يكون للناس جميعاً فى البداية، وبعدها يبلغون الجنة ، ويظل البعض فى النار ولا يستطيع تركها ، ويعبر منها البعض الآخر ويصل إلى الجنة" . ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً [٧١] ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ (مريم /٧٢) (٧) .

فكلٌّ يرد النار ، ولكن لا ضير منها ولا احتباس بها لأحد بمقدار ما عليه من الالتباس والزلل ، فأشدهم انهماكا أشدهم من المؤمنين من لا ينجيهم، ويترك الكفار فيها بنعت الخيبة عن الخروج منها ، وعند ذلك يشتد عليهم البلاء ، وتطبق عليهم أبواب جهنم ويتقطع منهم الرجاء والأمل(٨) .

واستشهاد النسفى بالآية المذكورة سلفاً ، يوضح أن عذابهم لا ينتهى إلى حد معين ، بل أعظم الأمور عليهم ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وقوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا ذلك بشهوات حقيرة فى الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة .

الفصل الثانى : أبواب الجنة والنار وأشجارها وأربابها

قال رسول الله ﷺ : " لجهنم سبعة أبواب منها لمن سلَّ السيف على أمتى أو قال أمة محمد ﷺ " . وقال أبىّ بن كعب : لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً ، وأنتنها ريحا للزناة الذين ركبوا بعد العلم . رواه أبونعيم الحافظ . فقد ورد فى كتاب يقظة أولى الاعتبار :

يدخل النار سبعة ، جزء أشركوا بالله ، وجزء شكُّوا فى الله ، وجزء غفلوا عن الله ، وجزء آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله ، وجزء عتوا على الله (٩) . وقد ذكر ذلك الحليمى فى كتاب منهاج الدين قائلاً : فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله هم الثنوية ، والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلها أو لا إله لهم ويشكون فى شريعته إنها من عنده أم لا والغافلون هم الذين يجحدونه أصلاً ولا يثبتونه وهم الدهرية ، والمؤثرون شهواتهم هم المنهمكون فى المعاصى لتكذيبهم برسل الله وأمره ونهيه ، والشاقون هم القتالون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم ، والمصيرون رغبتهم المنكرون للبعث والحساب ، والعاتون الذين لا يبالون بأن يكون ما منهم حقاً أو باطلاً فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستبدلون ، والله أعلم بما أراد رسول الله ﷺ إن كان الحديث ثابتاً (١٠) .

أما عن أسماء النار وأبوابها ، فقد اختلفوا فى عددها وأسمائها ، فهناك من جعلها سبعة وآخرون جعلوها ثمانية . وحقيقة الأمر وطبقاً لورود آيات قرآنية فهى

سبعة أبواب ، فالباب الأول يسمى **جَهَنَّم** لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم ، وهو أهون عذاباً من غيره ، والباب الثانى يقال له **لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى** لأنها آكلة لليدين والرجلين لمن أعرض عن التوحيد ، والباب الثالث يقال له **سَقَر** ، وإنما سمى سَقَر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع يقال له **الْحُطَمَة** فهى تحطم العظام وتحرق الأفئدة ، والباب الخامس يقال له **الْجَحِيم** لأنه عظيم ، والجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا ، والباب السادس يقال له **السَعِير** لأنه يسعر من لم يسعر منذ خلق ، والباب السابع يقال له **الهَاوِيَة** فمن

وقع فيه لم يخرج منه أبداً وفيه بئر اللهب إذا فتح تخرج منه نار تستعيذ منه النار [١١] .

ويورد ابن عربى باباً ثامناً للنار وهو باب مغلق لا يفتح يسمى بالحجاب ، بالإضافة إلى الأبواب السبعة : باب جَهَنَّم ، وباب الْجَحِيمِ ، وباب السَعِير ، وباب سَقَر ، وباب لَظَى ، وباب الْحُطَمَةِ ، وباب سِجِّين [١٢] . كما ورد عند الغزالى سبعة، أولها جَهَنَّمَ وهى الأعلى ، وسَقَر ، ولَظَى ، والْحُطَمَة ، والسَعِير ، والْجَحِيم ، والهَاوِيَةٌ [١٣] .

يقول النسفى :" اعلم أن البعض يقول إن أبواب النار سبعة ، وأبواب الجنة ثمانية ، وهذا كلام صحيح أيضاً ، لذا فإن المشاعر الإنسانية ثمانية أى أن الإدراك الإنسانى ثمانية أنواع ، خمسة منها : الحواس الظاهرة ، والخيال ، والوهم ، والعقل ، وكل شىء يدركه الإنسان ويفعله ، يدرك خمسة أبواب منها ، حينئذ لا يكون العقل مصاحباً لهذه السبع ، وهى – أى النار – تعمل بلا أمر من العقل ، بل تكون أبواب النار السبعة بأمر الطبيعة . وعندما يظهر العقل ويصبح حاكماً على هذه السبعة ، فإنها تعمل بأمر العقل وتصبح كل أبواب الجنة ثمانية " [١٤] .

ويلاحظ أن عزيزالدين النسفى لم يذكر أسماء النار كما ذكرها غيره، وكان حديثه عنها مجرداً كاسم عام ، بل كان حديثه عن الجنان والشجرة المرتبطة بكل جنة معتبراً إياها درجات يرتقى إليها السالك حسب تدرجه فى المنازل من خلال المجاهدات والرياضات والأحوال والمقامات وقد أجاد الشيخ فيها ، فلم يتعرض أحد من قريب أو بعيد لها .

يقول النسفى : " اعلم أنه قيل إن هناك ثمان جنان ، واعلم الآن أنه فى بداية كل جنة (توجد) شجرة ، ولكل شجرة اسم ، ويرتبط اسم تلك الجنة بتلك الشجرة ، فاسم الشجرة الأولى **شجرة الإمكان** ، واسم الشجرة الثانية **شجرة الوجود** ، واسم الشجرة الثالثة **شجرة المزاج** ، واسم الشجرة الرابعة **شجرة العقل** ، واسم الشجرة الخامسة **شجرة الخلق** ، واسم الشجرة السادسة **شجرة العلم** ، واسم الشجرة السابعة **شجرة نور الله** ، واسم الشجرة الثامنة **شجرة المشاهدة**"[١٥].

فقد ورد فى كتاب الإحياء عن رسول الله ﷺ قال : " إن للجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، فقال أبوبكر – رضى الله عنه – : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى ؟ فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال ﷺ نعم وأرجو أن تكون منها " – متفق عليه[١٦] .

ويرى ابن قيم الجوزية [١٧] . أن للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات ، فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى ،

وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار .

والجنان عنده اثنا عشر جنة، مستنداً فى ذلك إلى آيات من القرآن الكريم ، فالاسم الأول : **الجنة** ، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار ، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين . أما الثانية فهى **دار السلام** كما فى قوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام / ١٢٧) ، والثالثة **دار الخلد** كما فى قوله تعالى﴿ إِنَّ هَـذَا لَرِزْقُنَـا مَـا لَـهُ مِـن نَّفَـادٍ ﴾ (ص /٥٤) ، والرابعة **دار المقامة** فقال الحق سبحانه : ﴿ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (فاطر /٣٥) ، والخامسة **جنة المأوى** حيث قال الحق ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ (النجم / ١٥) ، والسادسة **جنات عدن** فيقول الحق سبحانه ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (مريم /٦١) . قيل إنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن ودليل ذلك الآية الكريمة ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر /٣٣) . حيث تعنى عدن : الإقامة والدوام . أما الجنة السابعة فهى **دار الحيوان** إذ يقول الحق ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ﴾ (العنكبوت / ٦٤) . فالآخرة هنا تعنى الجنة التى لا موت فيها . والجنة الثامنة هى **الفردوس** حيث وردت الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (الكهف / ١٠٧) ، والاسم التاسع هو **جنات النعيم** حيث قال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ (لقمان / ٨) ، وهو اسم جامع أيضاً لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من نعيم ظاهر وباطن . أما الاسم العاشر للجنات فهو **المقام الأمين** فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان / ٥١) ، فالمقام موضع الإقامة ، والأمين أى الآمن من كل سوء وآفة ومكروه . بينما الاسم الحادى عشر والثانى عشر فهو **مقعد صدق وقدم صدق** حيث قال الحق سبحانه إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ [٥٤] فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر / ٥٤ ، ٥٥) أى يدخل العبد مدخل صدق ويخرج مخرج صدق .

ويرى النسفى أن الجنة أو النار طريق يوصل صاحبه إليها من خلال مجموعة من الأعمال الظاهرة والباطنة .

الفصل الثالث : الجنة أو النار والطريق الصوفى

يبدأ المؤلف رسالته بالحديث عن العهد الإلهى الذى أخذه الله على بنى آدم، ساعة أشهدهم على أنفسهم إنه ربهم ، فقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى أَدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف /١٧٢) . فقد احتلت آية الميثاق مكاناً مرموقاً فى الفكر الإسلامى بصفة عامة ، والتصوف بصفة خاصة ، فهذا الآية تدل دلالة واضحة على وجود للإنسان يكون فيه موجوداً لربه ، مفقوداً لكل ما عداه .

يقول النسفى :" أيها الفقير ! تلك الأمانة التى عرضت على كل الموجودات ، فأبوا جميعاً ولم يقبلوا (أن يحملنها) وقبلها الإنسان ، إنها أمانة العشق . لو لم يكن يخبرها فإن العشق أمر صعب وبلاء عظيم لا يقبله أبداً " إنه كان ظلوماً جهولاً " [١٨] .

ويرى النسفى هنا أن أمانة التكليف التى قبلها الإنسان وحده أودت به إلى صعوبة حمل الأمانة كان ظلوماً جهولاً ، والأمانة عند المؤلف هى أمانة العشق التى ينجذب إليها السالك نحو معشوقه فهى أمانة تكليف عنده . لذا يتطلب من السالك أن يمارس مجموعة من المجاهدات والرياضات ، مروراً بالأحوال والمقامات التى تعتريه ، وصول إلى الحقيقة المتمثلة فى الرؤية والمشاهدة والمعرفة ، ولا يتم ذلك إلا بمحبة الخالق أو عشقه حسب درجة المحب .

ويرسم النسفى طريق السالك أو الفقير الذى يؤدى به إلى دخول الجنة بدرجاتها محذراً إياه من النار بدركاتها قائلاً :

" اعلم أن للنار والجنة منازلاً ، وطريق السالكين جميعاً على هذه الجنان والنيران ، وأن للجنة والنار بلهاء أيضاً ، ولهما عقلاء أيضاً ، ولهما كذلك عشاق . فالنار والجنة لهما مخالفون ومناسبون ، ولابد أن يكون للنار والجنة عقلاء مناسبون ومهاجرون ، وأن لهما عشاق للحجاب والكشف .

أيها الفقير ! العشق نار تقع فى قلب السالك . والأسباب الظاهرية والأفكار الباطنية للسالك كلها أصنام للنفس ، وحجاب فى طريق السالك لا يحيد عنها مرة واحدة . مادام السالك بلا قبلة ولا صنم فإنه يصبح ظاهراً متجلياً وصافياً ومجرداً . فـ " الله فرد ويحب الفرد " [١٩] .

وهذا يعنى أنه يجب على المريد أن ينسلخ عن كل العلائق الدنيوية والمهالك الشهوانية أى الخروج عن العادات ، فترك العادة هى دليل الإرادة لأن الإرادة لمعة المحبة ، وهى باعثة على التوجه إلى المطلوب الحقيقى طوعاً وكرهاً .

إذن الإرادة هى بداية طريق السالكين لطريق الطريقة لأنها مقدمة كل عمل، يقول أبو محمد مرتعش : "الإرادة حبس النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله والرضا بموارد القضاء عليه " [٢٠] .

فعلى السالك أن يبدأ بالإرادة الذاتية إذا أراد الوصول إلى معرفة الحق ، مروراً بتحرير الإرادة من النفس وسلطانها عن طريق المجاهدات والرياضات ، وصولاً إلى أدب الحضرة الإلهية والتى يصبح فيها المريد مؤهلاً للتلقى والذى يرد من الحق [٢١] .

وذلك حتى تتكشف الحجب حيث إن الحجاب باب وطريق موصل للمحجوب به أى هو الفاصل الموصل وليس الفاصل المانع ، فالسالك لا يسعى إلا إلى الوجه الإلهى فهو مطلوبه ، فيكون الحجاب كل ما يقف فى طريق رؤيته المباشرة للوجه الإلهى . كان سرى السقطى يقول: " اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذلِّ الحجاب"[٢٢]؛ حيث لا يتم ذلك الكشف إلا بإزالة عوائق الدنيا

من زهد فيها واعتزال الخلق وجهاد الشيطان وكسره ، وعوائق النفس من آفات اللسان كالنميمة والغيبة وسب المسلم واللعن والكذب والغضب والكبر والحسد والرياء وطول الأمل وسببه وذم أفعال الجوارح من شره الطعام والفضول من القول . ولا يتم علاج هذه الآفات إلا بالعلم والصبر والعمل ، فيقول الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير " عليك بذبح النفس وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية " (٢٣) .

ويؤكد النسفى فى كلامه على أن دواء القلب فى مخالفته الشهوات وعلاج أمراض النفس بتداوى كل خصلة منها بضدها ، فالقلب لا ينبت الأعمال الصالحة ولا يصير منبعاً للحكم إلا بعد تنقيته من عيوبه وتطهيره من الصفات الذميمة التى هى منبت الفواحش . وكل قلب لا تدخله محبة الله فهو مريض ، وعلامة محبة الله

أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات.

ويواصل النسفى حديثه قائلاً :

" أيها الفقير ! يرد السالك خطاب بأن انبذ العقل، فإنه قد توجه صوب الدنيا ، وخوفاً من أن يهلكك أدر وجهك تجاهنا ، فإن لم يستطع السالك أن ينبذ العقل فإن العشق ينبذه دوماً ويدير وجهه . فالسالك لا عشق له فى البداية .

وعندما يبلغ السالك مرتبة العشق فإنه يلقى بالعقل ، وعندما يلقيه يراه الثعبان فيخاف ، ويكون خوفه هلاكاً للسالك " (٢٤) .

وهو شبيه بما قاله نجم الدين دايه : " العقل لا يمكن أن يدرك كنه ذات الحق وصفاته، فالحق منزه عن عقل العقلاء وفهم الحكماء ، بل يجب أن ندرك ذاته به هو " عرفت ربى بربى ، ولولا فضل ربى ما عرفت ربى " (٢٥) .

ويؤكد النسفى على ذلك قائلاً :

" مادام العقل لم يبلغ مرتبة العشق فعصا السالك إما أن تعمر عالمه وإما أن تجعل أعماله الدنيا. ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَأَرِبُ أُخْرَى ﴾ . لذلك السبب فمن ينشغل بعمارة الدنيا لا تكون له روح ، وروح العقل العشق، والعقل بلا عشق لا روح له بل ويموت .

لو لم يوجد القلب فكيف يبنى العشق وطنا

ولو لم يوجد العشق فأى عمل يكون للقلب " (٢٦) .

أى أن التجربة الصوفية المنبثقة عن مجاهدة السالك لنفسه تدخل فى معركة عدوها فيها يمتلك من الأسلحة الخفية الشىء الكثير ، ولعل أخطرها مقدرة النفس على تسخير العقل لخلق مبررات لأفعالها . فالعقل إذا سُخِّر للنفس أخضع الإنسان لها ، فكل ما يقوم به الإنسان يخيل إليه أن مصدره عقلانى وهو فى الواقع نفسانى . فالعقل على ضربين – كما قال أبوحفص السهروردى – ضرب يبصر به أمر دنياه ، وضرب يبصر به أمر آخرته ، وذكر أن العقل الأول من نور الروح ، والعقل الثانى من نور الهداية ، فالعقل الأول موجود فى عامة ولد آدم ،

والعقل الثانى موجود فى الموحدين مفقود من المشركين [٢٧] .

ويواصل النسفى حديثه عن الطريق قائلاً :

" أيها الفقير ! " بضدها تتبين الأشياء " إذا لم يظهر نور الله ، فإنه لا يمكن معرفة ظلمة الدنيا . وكل من يبكى عليها ويتوقف على لذاتها وشهواتها يهلك (حيث قال الحق) :﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى [٢٠] قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُوَلَى ﴾ . أى عندما يرى الثعبان العقل أمسك به حينئذ ولا تخف ، فإننا نحل لعبة العصا . لكن مادام للدنيا شأن فإنه يتعثر إلى الآن ، ومادام السحر يمارس فى الدنيا إلى الآن فإنه يمنعك عن الطريق ، ومادمت (لا) تطلب خدمتها فهى خادمة لك وتصبح مدداً ومعيناً لك فى طريق الله (حيث قال الحق) : ﴿قَالُواْ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ " [٢٨] .

حيث إن نار الشهوة تحرق أهل الدين ، فنار الشهوة تعنى الأهواء النفسية التى تنشأ عن النفس الأمارة ، يقول مولانا جلال الدين :

" نار الشهوة تحرق أهل الدين ، فقد حملت البستانيين حتى قاع الأرضنار الشهوة التى كانت تشتعل ، خضرة التقوى أصبحت نور الهدى"[٢٩].

كما أن نار العشق أيضاً

كناية عن لهيب العشق وثورته التى تحرق العشق دوما ، فيقول العطار :

" نار عشقك أفضل فى الروح ، والقلب من عشقك أفضل باعثاً للنار

كل من احتسى قطرة من كأس عشقك، أفضل للثمل والحائر إلى يوم القيامة "[٣٠] .

ويستند النسفى إلى الآية الكريمة :﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُوَلَى ﴾ .(طه /١٩ –٢١) حتى يخبر السالك بأنه لا عبرة بما يُوهِم ظاهر الأشياء ، فقد يوهم الظاهر بشىء ثم يبدو خلافه فى المستقبل ، فعصا موسى صارت حية . ثم قال القشيرى المقصود بذلك أن تكون لك آية ومعجزة لا بلاء ولا فتنة [٣١] .

واستند النسفى أيضاً إلى قوله تعالى : ﴿قَالُواْ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهى جزء من الآية الكريمة :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (الأعراف /١١٧ – ١٢٢) ؛ حيث قدموه السحرة بسحرهم أنهم غلبوا ، فأدخل الله سبحانه على تمويهاتهم قهر الحق وطاشت تلك الحيل ، وخاب منهم الأمل ، وجذب الحق سبحانه أسرارهم على الوهلة ، فأصبحوا فى صدر العداوة ، وكانوا – فى التحقيق – من أهل الود . فسبحان من يُبرز العدو فى نعت الولى ، ثم يقلب الكتاب ويظهر الولى فى نعت العدو ، ثم يأبى الحال إلا حصول المقضى [٣٢] .

فالسحر بالإطلاق صفة مذمومة وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف وهو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله فى

الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التى تنفعل عنها الأشياء لهم فى عالم الحقيقة والخيال ، فهو وإن كان مذموماً بالإطلاق فهو محمود التقييد ، وهو من باب الكرامات وخرق العادات[٣٣] . فقد كان سحرة موسى مازال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا برب موسى وهارون ، ودخلوا فى دين الله وآثروا الآخرة على الدنيا ورضوا بعذاب الله على يد فرعون مع كونهم يعلمون السحر [٣٤].

ويقول النسفى أيضاً :

" أيها الفقير! العشق عصا موسى ، وعالم الساحر ، كل يوم (هو) فى سحر ، أى أنه يمارس الخيال كل يوم فينخدع الناس فى الدنيا بممارسة الخيال ، ويفتح العشق فيه على الدنيا ، ويبتلع كل ما فيها دفعة واحدة . ويجعل السالك طاهراً وصافياً ومجرداً . ومن ثم يصبح السالك اسما للصفاء مادام أنه لا يكون صافياً ، وعندما يصبح صافياً يصير صوفياً"[٣٥] .

وبما أن الأشياء تتبين بضدها، فإنه لا يمكن معرفة ظلمة الدنيا إلا إذا لم يظهر نور الله حيث إن النور يدرك ويدرك به ، والظلمة تدرك ولا يدرك بها . وقد يعظم النور بحيث أن يدرك ولا يدرك به ، ويلطف بحيث أن لا يدرك ويدرك به ، ولا يكون إدراك إلا بنور . سئل ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنَّى أراه فنبَّه بهذا القول على غاية القرب فإنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده .

لعل النسفى هنا متأثر بكلام ابن عربى بأن الاسم " النور " مبدأ الوجود والإدراك، لذلك كل وجود أو خير فهو نور ، لأصله الإلهى فى مقابل العدم والشر "الظلمة " ، يقول ابن عربى : " ... وما الظلمة والنور اللذان عنهما الظل والضياء؟ قلنا : النور كل وراد إلهى [= نور] ينفر الكون [= ظلمة] عن الظلمة "[٣٦] .

كمال قال الأخير فى موضع آخر: " والروح: نور ، والطبيعة : ظلمة"[٣٧] .

ويواصل النسفى حديثه عن الطريق قائلاً:

" أيها الفقير ! إن الأخلاق المحمودة جنة واسعة جداً ومقبولة ، والأخلاق المرذولة نار فى غاية الضيق والقبح . ولذة الأخلاق المقبولة فى مقابلة لذة العلم والمعرفة وموازاتهما وهما كالقطرة والبحر .

إن لذة الإدراك لذة فى غاية الحسن ، كذلك فإن الشهوات الجسدية واللذات الجسمانية لا تصل إلى لذة الإدراك . بالنسبة لجواهر الأشياء وحكمتها كأنهما العلم والمعرفة ، وبالنسبة لك ولخالقك فالمعرفة لذة عظيمة . كذلك أيضاً فإن كل جنة نهايتها أفضل ، وكل نار نهايتها أسوأ ، والمعرفة فى تلك الجنة تكون أكثر ، وعندما تكون المعرفة أكثر ، تكون تلك الجنة لهذا

السبب أفضل .

وكلما صعد الإنسان إلى منازل يكون أعلم ، ويزداد تحقيقه وطلبه ، ويصعب عليه العمل أكثر. من هنا يكون أكثر خوفا من (الله) مَنْ يكون أكثر علما : " أنا أعلمكم بالله وأخوفكم من الله ". ومهما يكون أعلم، عليه أن يحافظ على الظاهر ، فلا يقول شيئاً أو يفعله إلا بأدب أو حرمة أو عزة ،

وعليه أن يحافظ على الباطن حتى لا يفكر فى شىء إلا بالأدب أو بحرمة العزة ؛ كلما اقترب أكثر ، عليه أن يزيد من المحافظة ، مادام لا يبلغ مكاناً عليه أن يكون مستعداً فيه دائماً ، وعليه ألا يكون غائباً للحظة . ولو غاب طرفة عين وقال كلمة ليست من سر الحضور يكون مأخوذاً وفى عتاب . ف " حسنات الأبرار سيئات المقربين " .

هذا هو حضور أهل التصوف ، وهو مقام الخشية ، وهو مقام المحبة . فالخشية والمحبة قرينان ، وكلاهما بعد علم ، وبسر النظر نفسه قال بأن " المخلصون على خطر عظيم " . وكل صوفى لم يصل إلى هذا المقام لم يدرك عبقاً من التصوف ، وظن أن التصوف سجادة وتسبيح .

أيها المسكين البعيد عن المقام ! إن مقام التصوف مقام عال . أليس للإنسان احترام لذاته عندما يكون احترامه للسجادة والتسبيح ؟ " (٣٨) .

لقد سار الصوفية على النهج القرآنى فى جعل القلب محل الكشف والإلهام – أداة المعرفة – وهو المرآة التى تتجلى فيها معانى الغيب وتتنزل عليها الحكم . هو باختصار تلك القوة الخفية التى تدرك الحقائق الإلهية إدراكاً واضحاً جلياً لا يخالطه شك . فقد جعل الحق تعالى القلب فى القرآن هو العقل الذى يعقل عن الله كما ورد : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد /٢٤) .

ويرى النسفى أن كل من لم يبلغ درجة الإخلاص لم يدرك عبقاً من التصوف ، فالمخلصون على خطر عظيم ، ويعنى الإخلاص تصفية العمل من كل شوب أى لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب

إرادات النفس (٣٩) .

وقال الغزالى بأن الإخلاص ألا تعبد هواك ونفسك ، ولا تعبد إلا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت ، وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً(٤٠) .

ويؤكد النسفى على أن العلم والمعرفة مقامان لهما لذتهما الحقيقية، فإذا عظمت المعرفة بالله – كما قال الجنيد – ذهبت آثار العبد وامَّحت رسومه ، فعند

ذلك يبدو علم الحق ويثبت اسم حكم الله تعالى(٤١)

ويعتقد النسفى – مثل كثير من أهل العرفان – بأن حواس الإنسان وقواه العقلية تعيش مع ظاهر العالم وماهياته وتعيناته ، ولكن الإنسان عن طريق الارتباط الباطنى والحضورى والتخلص من العلائق الظاهرية والدنيوية يستطيع بحقيقة الواحد فى العالم أن يظهر المبادئ السامية وحقائق الأشياء من خلال

المعرفة الشهودية والحضورية .

ويرجح أهل العرفان – مع إقرارهم بقيمة العقل واعتباره بالاستدلال العقلى والبرهان – المعرفة الناتجة عن المكاشفات والمشاهدات على النتائج الحاصلة من البراهين العقلية ، قائلين بأصالتها للمعرفة الشهودية والحضورية . وصرح البعض منهم بأن العقل لا يسير إلى حقائق الأشياء والمبادئ السامية ، والتمسك بالبرهان

العقلى فحسب من باب رعاية لسان القوم ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل / ١٢٥)[٤٢].

ويعتبر النسفى أن العلم والمعرفة كالقطرة والبحر حيث إن البحر كناية عن بحر الوجود ، والوجود المطلق ، ووحدة الوجود ، والبحر أيضاً مقام الذات والصفات بلا نهاية للحق [٤٣] .

ويؤكد شيخنا على أن من كثر علمه ازداد خوفه وخشيته من الله، فأصل الطاعة – كما قال حاتم

الأصم – ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد[٤٤]. أو كما قال الحارث المحاسبى : الذى يبعث على التوبة ترك الإصرار ، والذى يبعث على ترك الإصرار ملازمة الخوف [٤٥] .

إذن التجربة الصوفية فى مجاهداتها ورياضاتها بين حدين الخوف والرجاء أى الخوف من الله ورجاء الله ، وهما مطلوبان لتكاملهما وليس لتقابلهما .

يقول صاحب اللمع ، الخوف على ثلاثة أوجه : خوف العامة وهو اضطراب قلوبهم مما عملوا من سطوة معبودهم ، وخوف الأوساط وهو من القطيعة واعتراض الكدورة فى صفاء المعرفة ، وخوف أهل الخصوص وهم الخائفون من القطع [٤٦].

لذا فإن النسفى يؤكد على أن المحبة والخشية يرتبط كلاهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً ، ويتفق على أن للمحبة ظاهراً وباطناً ، ظاهرها اتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شىء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ، ويتفق مع غيره على أن حقيقة المحبة القلبية نار فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب . فقد قيل : للمحبة ظاهر وباطن ، ظاهرها إتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شىء ، ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه[٤٧].

كما يؤكد شيخنا على السالك بألا يغيب للحظة ، فلو غاب طرفة عين وقال كلمة ليست من سر الحضور يكون مأخوذاً وفى عتاب فحسنات الأبرار سيئات المقربين ؛ حيث إن الحضور هو تنبه خاص يطرأ على قلب العبد إلى أمر معين فيحضر معه ، ويظهر أثره على الجوارح ، وفى هذه الحال تفترض الغيبة عما سوى هذا الأمر . أما الغيبة فهى غيبة السالك عن رسوم العلم لقوة نور الكشف وصورتها فى البدايات الغيبة عن رسوم العادات .

فقد ورد فى جامع الأصول أنه فى الأبواب : الغيبة عن النفس وأهوائها وعن صفاتها ودواعيها وآرائها ، وفى الأصول : الغيبة عن القصد عما سوى المقصود وقصر الهمة فى السير على سمت الورد المورود ، وفى الأدوية : الغيبة عن ظلمات وألم النفس بالاستغراق فى نور القدس ، وفى الأحوال : الغيبة عما يجول بينه وبين المحبوب فى تباريق تجلى المطلوب ، ودرجتها فى الحقائق : الغيبة عن الأكوان والإمكان بشهود نور الأزل بالعيان ، وفى النهايات : الغيبة عن الغيبة لسقوط التنويه من الحضرة [٤٨] .

الفصل الرابع : الجنان عند النسفى وكيفية الوصول إليها

يقول النسفى :

" اعلم أن النيران سبعة والجنان ثمانية . فلكل جنة نار فى المقابلة إلا الجنة الأولى، فلا نار لها فى مقابلها، لذا فإنها أول المفردات والمركبات أيضاً . هكذا تكون مفردات كل واحدة موجودة لا ترقى لهما أو عروج ، ولا حس لهما ولا خبر ، ولا لهما ألم ولا لذة . من قبيل أنهم جميعاً يتبعون المزاج ، فلا مزاج فى المفردات وهو موجود فى المركبات .

عندما لا يكون للجنة الأولى نار فى المقابلة يكون آدم وحواء فى هذه الجنة الأولى، وعندما لا يكون فى هذه الجنة وجود ولا أضداد لا يكون الشيطان فى المقابلة ، ويخرج كلاهما من هذه الجنة الأولى بخطاب (كن) ويبلغا من سماء العدم إلى عالم الوجود ، فقد جاء الخطاب بأن : يا آدم أسكن فى هذه الأولى حيث توجد المفردات فلا جوع فيها ولا عطش ولا عراء ، ولا عناء فيها من القيظ أو البرد " (٤٩) .

أى عندما خلق الحق سبحانه وتعالى الجنة الأولى لم يجعل فى مقابلها ناراً حيث لا جوع فيها ولا عطش ولا عراء ولا عناء من القيظ أو البرد ، فخلق فيها آدم وحواء ليبلغا من سماء العدم إلى عالم الوجود .

ويستشهد النسفى بالآية الكريمة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (البقرة /٣٥ – ٣٦) يقصد هنا أن كل ما منع منه الإنسان توفرت دواعيه إلى الاقتراب منه ، فهذا آدم – عليه السلام – أبيحت له الجنة بجملتها ، ونهى عن شجرة واحدة ، فليس فى المنقول أنه مد يده إلى شىء من جملة ما أبيح ، وكان عيل صبره حتى واقع ما نُهى عنه ، هكذا صفة الخلق .

هكذا فإن آدم – عليه السلام – باع حضرة ربه بلقمة ، يقول أبوزيد البسطامى : " لو شفعنى الله فى الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندى بكبير ، غاية الأمر أنه شفعنى فى لقمة طين " (٥٠) .

ويؤكد على الآية الكريمة فى أكثر من موضع ليثبت أن الله أسكن آدم الجنة ولكن أثبت مع دخوله شجرة المحنة ، ولولا سابق التقدير لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولا ، وبالوجود فقداً ، وكانت لا تصل يد آدم إلى الأوراق ليخصفها على نفسه ويقع منه ما يقع . ولو تطاولت تلك الشجرة حتى كانت لا تصل إليها يده حين مدها لم يقع فى شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدا من التقدير ما سبق به الحكم.

ويقول القشيرى فى تفسير الآية الكريمة : لا مكان أفضل من الجنة ، ولا بشر أكيس من آدم ولا ناصح يقابل قولة إشارة الحق إليه ، ولا غريبة (منه) قبل ارتكابه ما ارتكب ، ولا عزيمة أشد من عزيمته ، ولكن القدرة لا تكابر والحكم لا يُعارَض . ويقال لما قال له : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً ﴾ كان فيه إشارة إلى أن الذى يليق بالخلق السكون إلى الخلق ، والقيام باستجلاب الحظ ، وآدم – عليه السلام – وحده كان بكل خير وكل عافية ، فلما جاء الشكل والزوج ظهرت أنياب الفتنة ، وانفتح باب المحنة ، فحين ساكن حواء أطاعها فيما أشارت عليه بالأكل ، فوقع فيما وقع [٥١] .

لقد نبَّه الحق سبحانه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها حين قال :﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فإذا أخبر أنه جاعله خليفته فى الأرض كيف يمكن بقاؤه فى الجنة ؟ ويقال : أصبح آدم – عليه السلام – محمود الملائكة ، مسجود الكافة ، على رأسه تاج الوصلة ، وعلى وسطه نطاق القربة ، وفى جيده نضار الزلفة ، لا أحد فوقه فى المرتبة ، ولا شخص مثله فى الرفعة ، يتوالى عليه النداء فى كل لحظة يا آدم يا آدم . فلم يُمس حتى نُزع عنه لباسه ، وسلب استئناسه ، والملائكة يدفعونه بعنف أن اخرج بغير مُكثٍ . لقد نهاه عن قرب الشجرة بأمره ، وألقاه فيما نهاه عنه بقهره ، ولبَّس عليه ما أخفاه فيه من سرّه . ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ أى حملهما على الزلة وأخرجهما عما كانا فيه من الرتبة والدرجة جهراً ، ولكن ما ازداد – فى حكم الله سبحانه – شأنهما إلا رفعة وقدراً [٥٢] .

ويذكر النسفى بأنه توجد فى بداية كل جنة شجرة يرتبط بها اسم الجنة ، فشجرة الجنة الأولى هى شجرة الإمكان والتى تسع فيها من الأسماء والأجناس كل شىء حيث علَّم آدم الأسماء كلها .

فشجرة المزاج – عند النسفى – قرينة الطرد من الجنة ، يقرب منها الإنسان من خلال الشيطان والهوى . أما الجنة الأولى فهى تخلو من المفردات والمركبات أى المتقابلات من العناصر . فإذا وجد فيها عنصر من المفردات أو المركبات لفسدت . ولعل هذه الجنة جنة العوام الذين لا يدخلون فى جدل .

ويواصل النسفى شرحه للجنان فعن الجنة الثانية والثالثة يقول :

" ولا تقرب شجرة المزاج ! فعندما تقربها ، لابد من الخروج من هذه الجنة الثانية .

وعندما تخرج من هذه الجنة الأولى ، تصبح سىء الحظ أى تصبح محتاجاً ، حينئذ يظهر الجوع والعطش والعرى والمشقة والبرد والحر .﴿ فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ [*] . اقتربا من شجرة المزاج ، فجاء الخطاب أن :﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ . فخرج الثلاثة كلهم من الجنة الثانية ، ودخلوا الجنة الثالثة ، وبلغوا من سماء التفريد إلى أرض التركيب، وأصبحوا فى هذه الجنة محتاجين وجوعى وعطشى وعراة "[٥٣] .

يرى النسفى أن آدم – عليه السلام – بوسوسة الشيطان له وإغوائه بأن يأكل من شجرة المزاج هذه ، وما إن أكل منها حتى اعتراه ما اعترى البشر بعد ذلك من جوع وعطش وعرى ومشقة البرد والحر ، وهو يدعو السالك هنا لعدم

الامتثال لأوامر الشيطان وإغوائه حتى لا يلقى الشقاء الأبدى . فاستشهد بالآية الكريمة السابقة ليؤكد على أن الحق سبحانه وتعالى نصح آدم وحواء بعد القرب من هذه الشجرة التى ظناً أنها شجرة الخلد ، فلم ينفعهما النصح وقد أراد بهما ما حذرهم ، وعلم أنهم سيلقون ما خوفهم به ، فقوله ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ علم أنهم سيلقون ذلك الشقاء .

أما قوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ فلا تصديق أتم من تصديق آدم ، ولا وعظ أشد رحمة من الله ، ولا يقين أقوى من يقينه . ولكن ما قاسى آدم الشقاء قبل ذلك ، فلما استقبله الأمر وذاق ما خُوِّف به من العناء والكدر ندم وأطال البكاء ، ولكن بعد إبرام التقدير . ويقال إن آدم تنعم فى الجنة ، ولم يعرف قدر ذلك إلى حين استولى – فى الدنيا – عليه الجوع والعطش والبلاء من كل نوع وفن . وكان آدم إذا تجدد له نوع من البلاء أخذ فى البكاء ، ويأتى جبريل – عليه السلام – ويقول : " ربك يقرئك السلام ويقول : لم تبكى ؟ فكان يذكِّر جبريل – عليه السلام – وهو يقول : أهذا الذى مكث : ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ وغير هذا من وجود الضمان والأمن . والآية : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ أى هذه الوسوسة كان الحق يعلم ذلك ولم يذكر آدم فى الحال أن هذا من نزغات مَنْ قال له – سبحانه – إن هذا عدو لك .

ويقول القشيرى : يقال ، سمى الشيطان شيطاناً لبعده عن طاعة الله ، فكل بعيد عن طاعة الله يبعد الناس عن طاعة الله فهو الشيطان ، ولذلك يقال : شياطين الإنس ، وشياطين الإنس شر من شياطين الجن . ويقال : لما طمع آدم فى البقاء خالداً وجد الشيطان سبيلاً إليه بوسوسته .

والناس تكلموا فى الشجرة : ما كانت ؟ والصحيح أن يقال : إنها كانت شجرة المحنة . ويقال لو لم تخلق فى الجنة تلك الشجرة لما كان فى الجنة نقصان فى رتبتها (٥٤) .

ويواصل النسفى شرحه للجنة الثالثة قائلاً :

" ... والجنة الثالثة هذه جنة البلهاء والأطفال . فورد الخطاب ثانية بأن : يا آدم ! اسكن فى هذه الجنة الثالثة ! حيث فيها نعم كثيرة ، ولا تحريم عليك فيها أو لوم أو حجة . فكل ما تريده ، ومن كل شىء تريده كُلْ (منه) ! ولا تقرب شجرة العقل ! فعندما تقترب منها ، عليك بالخروج من هذه الجنة الثالثة ! وعندما تخرج منها تكون ظالماً ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (وعندما) اقتربا من شجرة العقل جاء الخطاب ثانية بأن : ﴿ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ .

خرج الستة جميعهم من الجنة الثالثة ، ودخلوا الجنة الرابعة .

أيها الفقير ! خرج الثلاثة من الجنة الثانية آدم وحواء والشيطان ، وخرج من الجنة الثالثة ستة هم آدم وحواء والشيطان وإبليس والطاووس والثعبان . فآدم روح ، وحواء جسد ، والشيطان طبيعة ،

وإبليس وهم ، والطاووس شهوة ، والثعبان غضب"[٥٥] .

ويرسم لنا النسفى الطريق إلى الجنة بأن قرب آدم من شجرة العقل تجعله مكلفا بأوامر الشريعة ونواهيها فتخرجه من الجنة الثالثة التى لا تحريم فيها أو لوم أو عتاب أو حجة والتى تحوى نعما كثيرة . فهى جنة البلهاء والأطفال الذين لا تكليف عليهم .

ويستند النسفى فى قربهما من شجرة العقل إلى الآية الكريمة ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (البقرة / ٣٦) ، لأن الوقيعة وقعت بينهما وبين الشيطان ،ـ ولكن الله سبحانه كان مع آدم . فلو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان فى هداية نفسه حيث إن التفرد بالإبداع لكل شىء من خصائص نعته سبحانه وتعالى .

ليخرج آدم وحواء والشيطان من الجنة ، ثم يخرج الثلاثة من الجنة الثالثة ومعهم إبليس والطاووس والثعبان .

ويمثل النسفى لإبليس بالوهم، والطاووس بالشهوة ، والثعبان بالغضب ، فعلى السالك أن يبعد عن الوهم فهو صفة النفس وحجاب العقل وغمامة شمس القلب ، فإذا ارتفع حجاب الأوهام شهدت أنوار حضرة الإلهام ، والوهم يثبت إنَّية العبد مع الحق ويخيفه من الناس ، ويوقعه فى اليأس ، وعليه أيضاً أن يبعد عن الشهوة ففيها انبعاث النفس لنيل ما تتشوقه لذة عقلية وبدنية ، فقد قال أبويزيد البسطامى : " لا يعرف نفسه من صحبته شهوته " [٥٦] . بينما يفسر أبوحاتم الأصم الشهوة بأنها ثلاثة : " شهوة فى الأكل وشهوة فى الكلام وشهوة فى النظر ، فاحفظ الأكل بالثقة واللسان بالصدق والنظر بالعبرة " [٥٧] . وأن يتجنب السالك الغضب ، فهو من المهلكات التى بها معصية الله سبحانه . عن أبى الدرداء – رضى الله عنه– أنه قال للنبى ﷺ : " دلنى على عمل يدخلنى الجنة . قال : لا تغضب " [٥٨] . فالحلم وترك الغضب من نتائج التوحيد ، فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها من الله تعالى فإنه لا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته فيندفع الغضب والغيظ بغلبة التوحيد ، ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله وأن الله لا يفعل به إلا الخير .

أيضاً على السالك أن يجاهد الشيطان حتى يكسره ، فقد قال ﷺ : " قال تعالى إنى خلقت عبادى كلهم ضعفاء فجاءتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم " [٥٩] صدق رسول الله ، فالشيطان عدو كما قال تعالى :﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر / ٦) . وفى تمثيل النسفى للشيطان بالطبيعة لأنه مركب من عناصر عدة، تؤدى بالعبد إلى الضلال .

ويؤكد فريد الدين العطار على أن العقل كامل فى معرفة الحق بل الأكمل منه الروح **والقلب قائلاً :**

" العقل كامل فى معرفة الحق ، لكن الأكمل منه الروح والقلب لو يلزمك كمال العشق ، بغير القلب لا يتكشف لك هذا الحجاب " (٦٠) .

وينتقل المؤلف إلى الجنة الرابعة قائلاً :

" وعندما اقترب آدم من شجرة العقل ، خرج من الجنة الثالثة ، ودخل فى الجنة الرابعة ، فسجدت الملائكة جميعاً لآدم إلا إبليس لم يسجد وأبى . أى إن كل القوى الروحانية والجسمانية كانت مطيعة وممتثلة لأمر الروح إلا الوهم لم يكن مطيعاً وممتثلا للأمر (٦١) .....

أيها الفقير ! كلما يصعد الإنسان إلى المنازل ، يكون أعلم ويصبح أكثر استعداداً ، ويشق الأمر عليه . ومن هنا جاء الخطاب لآدم فى البداية بأن يا آدم اسكن فى هذه الجنة الثانية ولا تقرب شجرة المزاج ، فمهما تترقى إلى منازل ، يكون الأمر عليك أشق . وعندما وصل إلى الجنة الثالثة ، جاء الخطاب ثانية بأن يا آدم ! اسكن فى هذه الجنة الثالثة ، ولا تقرب شجرة العقل . عندما بلغت فى العروج إلى شجرة العقل ، وأصبحت مكلفاً ومأموراً ومنهياً ، أجعل الجسد كالرجال ، وضع قدماً فى الطريق ، فالبقاء فى الطريق ليس من عمل الرجال ومرٌ على هذه النيران والجنان ، ولا تلتفت إلى خير قط ولا تجبر على شىء قط ، ولا تهرب من شر ، ولا تتأخر عن الطريق، فإن هذا الخير والشر من أجل ذلك ، مادمت تتربى فى الشمس وظلها ، وتُظهر نفسك للملائكة فأجبتُ عليهم بأنك لا تعرف شيئاً هم لا يعرفونه ، فكن فى سعى وكد ، ولا تقض وقتاً فى طريق ، حينئذ تصل إلى نور الله " (٦٢) .

ويؤكد النسفى على أن السالك ببلوغه شجرة العقل يبدأ التكليف والأمر والنهى بالنسبة له والذى هو صلب الشريعة ، فالتكاليف شاقة على العباد ويدخل امتثال الأوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الأحكام والشكر عند وجود النعم ، فهى إذن أربعة : طاعة ومعصية ونعمة وبلية ولكل منها عبودية يقتضيها من العبد بحكم الربوبية ، فحقه عليك فى الطاعة شهود المنة منه عليك فيها ، وحقه عليك فى المعصية الاستغفار مما صنعت فيها ، وحقه عليك فى البلية الصبر معه عليها ، وحقه عليك فى النعمة وجود الشكر منك فيها .

ويواصل المؤلف بث إرشاداته ووصاياه للسالك حتى يبلغ لقاء الله ومعرفة صفاته بعد إتمامه للمجاهدات والرياضات ، فيقول النسفى :

" أيها الفقير ! مادام السالك لا يشرف بلقاء الله ، فإنه لا يعلم الشىء البته كما هو ، ولا يراه . فلا شأن للسالك أكثر من أن يعرف الحق ويراه ، ويعلم صفات الله ويراها . كل من لا يرى الله ولا يعرف صفاته ، فقد جاء أعمى ومضى أعمى . عندما وصل السالك إلى نور الله وأتم الرياضات والمجاهدات باقتدار ، ووصل إلى ذلك المقام فإن الله يقول " كنت له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً ، به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه ينطق " . وبلغ ذلك المقام بأن قال رسول الله ﷺ : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " .

عندما بلغ السالك نور الله ، فهو الآن سالك لنور الله ، ومادام سالكاً لنور العقل إلى الآن ، فقد انتهى أمر العقل ، ولا يزال سالكاً لنور الله . كلما يفيض نور الله فإن كل الحجب النورانية والظلمانية تتكشف أمام السالك فيرى الله ويعرفه . أى أن نور الله يبلغ بحر النور ، ويراه ، وبعدها يكون مصاحباً لنوره فيقدر على رؤية

نوره ويستطيع معرفته " [٦٣] .

ويجب على المريد ألا يقف فى الطريق بل يجب عليه أن يتدرج بين الأحوال والمقامات على الرغم من كونه شاقاً ، فعندما يثبت الحال عنده يكون مقاماً . لذا فإن النسفى يطلب من السالك أن يكون رجلا فى الطريق إلى الله لعله يرى نوراً من صفات الله – عز وجل .

ويواصل النسفى حديثه عن نتيجة وصول السالك إلى الجنة قائلاً :

" مادام السالك لا يصل إلى نور الله

فإنه لا يصل إلى المشاهدة . يقول فى ذلك:

رفيق نورك من يعرف أنه يراك

إذ لا يمكن أن يراك نور البصر هذا " ..

وعندما وصلت عرفت نفسك وعرفتنى وتشرفت بلقائى، وعندما تشرفت بلقائى ووصلت إلى الجنة الحقيقية واكتملت معرفتك تجدنى وتحصل على كلا العالمين وتعلم كل شىء (فيهما) . كذلك لا يخفى عليك شىء فى الملك والملكوت والجبروت . فالجنة هى الجنة ، واللذة هى اللذة"[٦٤] .

فالنور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المعجزة فقد ضيَّق ، رحمة الله واسعة . ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى وشرح قوله تعالى :﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (الأنعام / ١٢٥) ، قال : هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب ، فقيل : وما علامته؟ فقال : التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود "[٦٥] .

وقد ورد – عند الغزالى – بمسند أحمد عن ابن عمر : " إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ، فألقى عليهم من نوره . فمن أصابه من ذلك النور يؤمئذ اهتدى ومن أخطأه ضل " ، فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجوَّاد الإلهى فى بعض الأحايين ، ويجب الترصد له [٦٦] .

وقد جمع النسفى فى الفقرة السابقة بين المشاهدة والرؤية ، فالمشاهدة رؤية فى الأصل ، إلا أنها رؤية يسبقها علم بالمرئى ، لذلك يحكمها الإقرار والنفى على حين أن الرؤية لا إنكار فيها.

وهذا ما يؤكد كلام ابن عربى فى أن المشاهدة طريق للمعرفة بواسطة الشاهد – أى صورة المشهد التى تبقى فى النفس بعد المشاهدة، وهو الذى يعطى اللذة – وعلى الجملة فطريق المعرفة بالله على ثلاثة أقسام : المعرفة بالدليل والمعرفة بالشهود والمعرفة بالإعلام ، وأعلاها الإعلام ، يقول ابن عربى :" ... فالثلث : الواحد من العلم بالله هو ما يعلم من الله بالدليل ، والثلث الآخر ما يعلم منه سبحانه بالشهود عن التجلى ،

والثلث الثالث هو ما يعلم منه بإعلامه سبحانه وهو أصح الأقسام فى العلم بالله " [٦٧] .

إذن النور سبب الكشف والظهور إذ لولا النور ما أدرك البصر شيئاً .

ويرى النسفى أن معرفة السالك إذا اكتملت أى عرف نفسه وعرف الحق سبحانه سيشرف بلقاء الله سبحانه ، ويبلغ الجنة الحقيقية فلا يخفى عليه شىء فى الملك والملكوت والجبروت . لأن المعرفة على ثلاثة أوجه – كما ورد فى اللمع – معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة ، وفى معرفة المشاهدة يندرج الفهم والعلم والعبارة والكلام [٦٨] .

وينتقل النسفى فجأة فى رسالته من الجنة الرابعة إلى الجنة الثامنة دون تصريح أو تلميح للجنان الثلاث الأخرى ، فيقول :

" أيها الفقير ! هذه الجنة الثامنة ، وهى عند هذا الضعيف أنها الجنة الأخيرة ، وليس هناك جنة أخرى غير هذه الجنان الثمان . لكن البعض يقول بأن هناك جنة أخرى غير هذه الجنان الثمان ، وفى تلك الجنة شجرة اسمها شجرة القدرة .

عندما يصل السالك إلى نور الله ، ويتشرف بلقائه يصل إلى عين اليقين . أى أنه إلى الآن كان يعلم بعلم اليقين ، ويرى الآن وجود الله مباشرة بعين اليقين . فليس هناك ذرة قط من ذرات العالم لا يوجد نور الله عليها بنفسه ، ولا يكون محيطاً بها ولا خبيراً بها ، ولا ينهض السالك من وجوده ، ويؤثر الوجود ويخرج من الغرور والظن .

أيها الفقير ! مادام السالك لا يعبر من مجموعة الحجب الظلمانية والنورانية هذه ، ولا يخرج من الخيال والظن لا يستطيع المجيء ، وعندما

يخرج من الخيال والظن وعلم اليقين ويراها ظاهرة وأنها جميعاً كانت مشكاة ، يصل إلى ذات الله . وعندما يبلغ ذات الله ، ويؤثر وجوده فإن الله تعالى يبدل وجود السالك . فكل ما يقوله ويفعله السالك يقوله بقول الحق سبحانه وفعله ، ليصبح السالك عالماً وقادراً ، ويصبح صاحب قدرة وصاحب همة . قال تعالى :﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ " [٦٩] .

يرى النسفى – مثل غيره – أن الحجب الظلمانية والنورانية والخيال والظن تمنع السالك من الوصول إلى ذات الله ، فالحجاب باب وطريق موصل للمحجوب به . أى هو الفاصل الموصل وليس الفاصل المانع . فالقوم من الصوفية لا يسعون إلا الوجه الإلهى ، فهو مطلوبهم فيكون الحجاب كل ما يقف فى طريق رؤيتهم المباشرة للوجه الإلهى .

والحجب ليست بمكانة واحدة بل فيها حجب دنيا وحجب عليا ، فالحجب الدنيا مثل حجاب النفس والطبع والشهوات ، والحجب العليا هى التعينات والعلم والمحبة .

ولم يخرج النسفى على أن الحجاب الذى يحتجب به الإنسان عن قرب الله إما نورانى وهو نور الروح ، وإما ظلمانى وهو ظلمة الجسد . ففى الحجاب ذل كما قال سرىٌّ السقطى : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب[٧٠] .

ويرى النسفى أن اليقين هو المشاهدة ، ويتم ذلك بالإيمان والعقل والمعرفة وحسن التدبير فى ظاهر أمر العبد وباطنه . وعندما يصل السالك إلى نور الله ويتشرف بلقائه يصل إلى عين اليقين، فيرى وجود الله مباشرة .

ويؤكد النسفى على أن السالك بخروجه من الحجب الظلمانية والنورانية والخيال والظن وعلم اليقين ، يستطيع أن يصل إلى ذات الله بحيث أن ما يقوم به أو يفعله أو يقوله يكون بالله ، فيصبح عالماً وقادراً أى صاحب علم وقدرة متأسياً بصفات الحق سبحانه . وهذا هو بلوغ الجنة الثامنة عنده .

ولعل المؤلف يقصد بوصول السالك إلى ذات الله إدراك صفات الله، لأن ذات الله لا تدرك بمفهوم عبارة ولا تفهم بمعلوم إشارة ، لأن الشيء إنما يفهم بما يناسبه فيطابقه أو بما ينافيه فيضاده ، وليس لذاته فى الوجود مناسب ولا مطابق ولا مناف ولا مضاد [٧١] . وهذا قريب من كلام نجم الدين دايه : " لا يمكن أن يدرك العقل كنه ذات الحق وصفاته ، فالحق منزه عن عقل العقلاء وفهم الحكماء ، بل يجب أن ندرك ذاته به هو كما قال ذوالنون : " عرفت ربى بربى ، ولولا فضل ربى ما عرفت ربى"[٧٢] .

ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ (الأنفال / ١٧) ؛ حيث يقول القشيرى فى تفسير الآية ، الذى نفى عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت ، وهو من خصائص قدرته سبحانه ، والذى يوصف به الخلق من القتل هو ما يفعلونه فى أنفسهم ، ويحصل ذهاب الروح عقبه . وفائدة الآية قطع دعاواهم فى قول كل واحد على جهة التفاخر قتلتُ فلاناً ، فقال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أى لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشىء والمبدئ و الله – عز وجل – وصنهم بهذه الآية – عليه السلام – عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم .

أما الجزء الأخير من الآية : :﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ أى ما رميت بنفسك ولكنك رميت بنا ، فكان منه صلوات الله عليه قبضُ التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب ، وكسبه موجد من الله بقدرته، وكان التبليغ والإصابة من قبل الله خلقاً وإبداعاً ، وليس الذى أثبت ما نفى ولا نفى ما أثبت إلا هو، والفعل فعل واحد ولكن التغاير فى جهة الفعل لا فى عينه .

فقوله :﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ فرق ، وقوله :﴿ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ جمع . والفرق صفة العبودية ، والجمع نعت الربوبية ، وكل فرق ، لم يكن مضمناً بجمع وكل جمع لم يكن – فى صفة العبد – مؤيدًا بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة . وإن الحق سبحانه يكلُ الأغيار إلى ظنونهم ، فيتيهون فى أودية الحسبان ، ويتوهمون أنهم منفردون بإجراءٍ ما منهم ، وذلك منه مكر بهم[٧٣] .

وقد أورد النسفى جنة تاسعة تحكيها جماعة ، لم ير شيئاً فى مثيلاتها ، فيقول :

" اعلم أن البعض يقول إن هناك أناساً كل ما يريدونه يمنحه الله (لهم)، وكل شيء يلزمهم يصبح

هو ، ويعقدون الهمة فى كل شىء فيصبح كذلك حيث تكون همتهم " رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره " . أى يكون لهم العلم بالكمال والقدرة بالكمال والهمة بالكمال، وكل مراداتهم حاصلة وكل شىء يريدونه يكون هكذا . لذا فإنهم قد ماتوا بالموت الإرادى قبل الموت الطبيعى ، وعبروا من الدنيا وهم فى الآخرة .

على سبيل المثال لو أرادت هذه الجماعة أن ينزل مطر ، ففى اللحظة التى تمر فى خاطرهم يظهر السحاب ويبدأ المطر فى الهطول فيختفى السحاب . ولو أرادوا أن يمرض إنسان ، فإنه يمرض فى الحال ، ولو أرادوا أن يتعافى مريض يدرك العافية فى الحال . واعلم دائماً أن الأشياء تكون إجمالاً هكذا .

ويقال أيضاً : إن هذه الجماعة تذهب من المشرق إلى المغرب فى لحظة ، وفى لحظة تعود من المغرب إلى المشرق . ولو أرادوا السير على الماء ولو أرادوا أن يحلقوا فى الهواء ولو أرادوا المشى فى النار ، ولو أرادوا أن يراهم الناس أو لا يروهم (لفعلوا) ، ويصل إليهم رزقهم يومياً جاهزاً ومعداً بلا سعى أحد أو كدٍّ منه " (٧٤) .

هنا يؤكد النسفى على همة السالك كلية صوب الحق تعالى حتى يبلغ الجنة التاسعة ، " فالهمة هى التوجه إلى الحق – كما ذكر الكمشخانوى – بالكلية مع الأنفة من المبالاة بحظوط النفس من الأغراض والأعواض ، وبالأسباب والوسائط كالعمل والأمل والوثوق بها . وصورتها فى البدايات عقد الهمة بالطاعة والوفاء بعهد التوبة . وفى الأبواب تعلق القلب بالنعيم الباقى وصرف الرغبة عن الفانى والجد فى الطلب عند التوانى . وفى المعاملات همة باعثة على الاستقامة فى العمل مع دوام المراقبة وقوة الثقة بالله فى التوكل والتسليم . وفى الأخلاق صرف الهمة بالكلية إلى إحراز السعادات والكمالات . وفى الأصول همة جاذبة صاحبها إلى جناب الحق بقوة اليقين وروح الأنس مانعة عن الفتور فى السير والزيغ فى القصد ، ودرجتها فى الأحوال صيرورة الهموم همًّا واحداً باستيلاء العشق . وفى الولايات همة تتصاعد عن الأحوال والمقامات إلى حضرة الأسماء والصفات . وفى الحقائق همة تعلو الصفات وتنحو عن النعوت نحو الذات . وفى النهايات لا همة إلا التأثر بمؤثرية الحق فى جميع الممكنات " (٧٥) .

لعل النسفى هنا يقصد بالهمة، همة أرباب الهمم العالية – وهى الدرجة الثالثة – وهى التى لا تتعلق إلا بالحق ولا تلتفت إلى غيره ، فهى أعلى الهمم حيث لا ترضى بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات ولا تقصد إلا عين الذات .

هنا يكون السالك صاحب همة وقدرة فيكون له العلم بالكمال والقدرة بالكمال والهمة بالكمال ، وتحصل كل مراداته وكل ما يريده يجده حيث قال المصطفى ﷺ : "رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره " (٧٦) ، ويكون كما قال الحق سبحانه : " كنت سمعاً وبصراً ويداً ولساناً به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه ينطق" (٧٧) .

ويؤكد النسفى على أن ذلك لا يتم لا بموت السالك موتاً إرادياً قبل أن يكون موتاً طبيعياً ، فالموت الإرادى جانب من جوانب الموت المعنوى ، فيه يصل العبد إلى مقام تنقطع عنه أوصافه ، ويقوم الحق مقامه فى جميع الحالات .

ويمثل المؤلف بحكاية لسيدنا موسى والخضر – عليهما الصلاة السلام – ليبرهن فيها على أصحاب الهمة والقدرة قائلاً :

" حكى أن النبى موسى عندما بلغ صحبة الخضر – عليهما الصلاة والسلام – ، وظلا معاً . ذات يوم كانا جائعين فى فلاة ما ، حلَّ غزال وربض بينهما . كان ذلك الجانب الذى أمام الخضر مطهياً، وذاك الجانب الذى كان أمام موسى نيئاً . بدأ الخضر وأكل ، ولم يستطع موسى الأكل ، فأمر الخضر بأن : يا موسى ! اجمع النار والحطب ، واشوِ اللحم واطهيه ، وكلْه ، فسأل موسى الخضر : كيف ناحيتك مطبوخة وناحيتى نيئة ؟ ! فقال الخضر : يا موسى أنا فى الآخرة وأنت فى الدنيا ، رزق الدنيا مكتسب ورزق الآخرة جاهز ومُعد ، ورزق الدنيا مستألف ورزق الآخرة مستفرغ ، الدنيا مقر العمل والآخرة مقر الجزاء . يصل رزقنا جاهزاً ومُعداً ، ورزقكم موقوف على السعى والكد، قال تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ إنهم يقصون هذا ، وأمثلة أخرى عن الجنة التاسعة" (٧٨) .

يأتى النسفى هنا بسيدنا الخضر على أنه يحمل علم الباطن ، وسيدنا موسى يحمل علم الظاهر ، فأرباب علم الباطن رزقهم جاهز ومعد من قبل الحق سبحانه وتعالى حيث إن رزق الآخرة مستفرغ من كل نشاط كسبى بل هبة إلهية . أما أرباب علم الظاهر فرزقهم مكتسب لأن رزق الدنيا مستألف أى مألوف ومجبول عليه فهو كسبى .

ويستند فى الحكاية السابقة إلى الآية الكريمة : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾(آل عمران / ٣٧) ليثبت أن من أمارات القبول الحسن أن السيدة مريم – عليها السلام – لم تكن توجد إلا فى المحراب ، ومن كان مسكنه وموضعه الذى يتعبد فيه هو المحراب ، فذلك عبد عزيز .

ويقال من القبول الحسن أنه لم يطرح أمرها كله وشغلها على زكريا – عليه السلام – ، فكان إذا دخل عليها زكريا ليتعهدها بطعام وجد عندها رزقاً ، ليعلم العاملون أن الله سبحانه لا يُلقى شغل أوليائه على غير ، ومن خدم ولياً من أوليائه كان هو فى رفق الولى لا إنه تكون عليه مشقة لأجل الأولياء . وفى هذا إشارة لمن يخدم الفقراء أن يعلم أنه فى رفق الفقراء . ثم كان زكريا – عليه السلام – يقول : أَنَّى لَكِ هَذَا؟ لأنه لم يكن يعتقد فيها استحقاق تلك المنزلة ، وكان يخاف أن غيره يغلبه وينتهز فرصة تعهدها ويسبقه بكفاية شغلها ، فكان يسأل ويقول : أَنَّى لَكِ هَذَا؟ ومن أتاك به ؟ وكانت مريم تقول : هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ لا من عند مخلوق ، فيكون لزكريا فيه راحتان : إحداهما شهود مقامها وكرامتها عند الله تعالى،

والثانية أنه لم يغلبه أحد على تعهدها، ولم يسبق به [٧٩] .

إن حكاية الخضر وموسى هنا يتجلى فيها أن العبد عندما يبلغ مقام الولاية، يتولى الله سبحانه أمره ورعايته كما ورد فى الآية الكريمة ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف /١٩٦) ، فهو يرى أن مقام التصوف هو حد الولاية ، يقول النسفى :

" أيها الفقير ! يجب على السالك أن يقطع عدة منازل ليبلغ مقام التصوف ويصبح اسمه صوفياً ، ويجب على الصوفى أن يقطع عدة منازل حتى يصل إلى مقام المعرفة ويصبح اسمه عارفاً . وعلى العارف أن يقطع عدة منازل حتى يبلغ مقام الولاية ، وتصبح شهرته بالولى . إن مقام التصوف مقام عال ، قليل من السالكين من يصل إليه ، فمقام التصوف هو حد الولاية " [٨٠] .

وتفصيل ذلك أن الولاية هى الإطلاع على الحقائق الإلهية ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصة من غير واسطة ملك من الملائكة أو أحد من البشر .

ومقام التصوف هو حد الولاية حيث ينال كل ولىّ من الأولياء ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه ﷺ ، يقول صاحب اللمع : ... وإنما يعطى الأولياء رشاشة مما يعطى الأنبياء عليهم السلام [٨١] . فأولياء الله تعالى عرائس الله – كما قال أبويزيد البسطامى – ولا يرى العرائس إلا المحرومون ... وهم محجوبون عنده فى جحاف الأنس ، لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة [٨٢] .

وينهى النسفى رسالته بأن الله تعالى هو المانح الواهب القادر على الكمال، وما يوهب لإنسان من قدرة فهى أمر من الله ، والشريعة نهيها . وقد وصل هذا بواسطة أنبياء الحق وأوليائه من قبل الحق سبحانه ليصبح قادراً على قضاء الأمر والبعد عن النهى .

وأن ما يبلغه الإنسان من علم ومعرفة هو كرامة الإنسان فى علم الحق والأخلاق الحميدة ، ويؤكد المؤلف على أن من يزيد علمه وأخلاقه تكون كرامته وقربه إلى حضرة الحق أكثر .

وعلى العبد أن يكون راضياً قانعاً ، ففى رضاه يبلغ الكمال حيث إن كثيراً من الأنبياء والأولياء والملوك والسلاطين كانوا يريدون أشياء غير موجودة ، ولا يريدون أشياء موجودة ، لكن الله يحكم فى ملكه وملكوته وجبروته بنفسه مستنداً إلى الآية الكريمة : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة /٢١٦) ليؤكد على أن راحات النفوس مؤجلة لأنها فى حكم التأديب ، وبالعكس من هذا راحات القلوب فإنها معجلة إذ هى فى وصف التقريب ، فالسعادة فى مخالفة النفوس ، فمن وافقها حاد عن المحبة المثلى ، كما أن السعادة فى موافقة القلوب ، فمن خالفها زاغ عن السَّنة العليا [٨٣]. والحمد لله رب العالمين .

الخاتمـــة :

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

١ – أن حقيقة الجنة فى الموافقة أى موافقة الشرع ، وحقيقة النار فى المخالفة أى مخالفة الشرع .

٢ – أن أبواب الجنة تتجلى للسالك من خلال مجموعة الأقوال الطيبة والأفعال المقبولة والأخلاق الحميدة ، أما أبواب النار فهى مفتوحة ومعدة لأصحاب الأقوال والأفعال الشريرة والأخلاق الذميمة .

٣ – أن أبواب الجنة الثمانية تعمل بأمر العقل ، بينما أبواب النار تعمل بأمر الطبيعة .

٤ – أن لكل جنة من الجنان الثمانية شجرة تسمت بها ، فشجرة الإمكان تخص الجنة الأولى ، أما الثانية فهى شجرة الوجود ، والثالثة شجرة المزاج ، والرابعة شجرة العقل، والخامسة شجرة الخلق ، والسادسة شجرة العلم ، واسم الشجرة السابعة شجرة نور الله ، أما الشجرة الثامنة فهى شجرة المشاهدة .

٥ – أن أغفل المؤلف مضمون الجنة الخامسة والسادسة والسابعة ، لعله أضافهم مع الجنة الرابعة حيث انتقل فجأة إلى الجنة الثامنة .

٦ – أن السالك يستطيع بلوغ الجنان والترقى إليها من خلال المجاهدات والرياضات والتى ينبثق منها أحوال ومقامات يتدرج السالك فيها .

٧ – أن قدم المؤلف ربطاً وعلاقة – لأول مرة فى العرفان – بين آدم والروح ، وحواء والجسد ، وإبليس والوهم ، والشيطان والطبيعة ، والطاووس والشهوة ، والثعبان والغضب ليشرح من خلالهم الطريق إلى الله.

٨ – أن السالك الصادق فى طريقه إلى الله يمنحه نوراً يتجلى من الحق سبحانه عليه ، فيستطيع رؤية صفات الله ويعرفها ويعرف كنهها حتى يبلغ الواصل منهم مقام الولاية .

٩ – أن أضاف جنة تاسعة تضم على بابها شجرة هى شجرة الهمة والقدرة ، فمن يصل إليها يتولى الله أموره وأفعاله .

١٠ – أن ما يبلغه الإنسان من علم ومعرفة هو كرامة الإنسان فى علم الحق والأخلاق الحميدة .

القسم الثانى

ترجمة "رسالة فى شرح الجنة والنار"

لعزيز الدين النسفى

الحمد لله رب العالمين والعافية للمتقين ، والصلاة والسلام على أنبيائه وأوليائه خير خلقه ، وعلى آلهم وصبحهم الطيبين الطاهرين .

١ – أما بعد ، هكذا يقول أضعف الضعفاء وخادم الفقراء عزيز بن محمد النسفى أن جماعة الفقراء – زادهم الله – طلبوا من هذا الفقير أن أجمع رسالة فى الجنة والنار . تفسر فيها ماهية حقيقة الجنة والنار ، وما هى حقيقة الجمال والقبح ، وأن أفسر فيها كم جنة وكم نار موجودة، وأى

جنة يكون فيها آدم وحواء ، وما هى الشجرة التى اقتربا منها فأخرجتهما من تلك الجنة . فأجبت طلبهم ورجوت من الله تعالى المدد والعون حتى يحفظنى من الخطأ والزلل : " إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير" .

٢ – أيها الفقير ! قبل أن كان آدم وحواء وقصتهما المعروفة ننقد الآن بشريتهما ، وبعدها سوف تكون الجنة والنار ، وقصتهما أيضاً مشهورة . ننقد الآن أرباب الجنة والنار . بداية : نفسر فى هذه الرسالة ماذا يخصنا ؟ آنذاك نقرر كيف يكون ظاهرنا؟ " وما توفيقى إلا بالله ، " عليه توكلت وإليه أنيب" .

الفصل الأول : فى شرح الجنة والنار الآنية وفى شرح آدم وحواء الآن

٣– اعلم – أعزك الله فى الدارين – أن حقيقة الجنة الموافقة ، وحقيقة النار المخالفة ، وحقيقة الخير إدراك المراد ، وحقيقة الشر عدم إدراكه .

ولو أن إنساناً آخر ذكر عبارة ، ربما يكون هو نفس المعنى الذى قلناه . عندما علمت حقيقة الجنة والنار ، اعلم الآن أن للجنة والنار أبواباً كثيرة . فكل الأقوال والأفعال المقبولة والأخلاق الحميدة أبواب للجنة ، وكل الأقوال والأفعال غير المستحبة والأخلاق المذمومة أبواب للنار . لذلك السبب فإن كل نصب وقبح يبلغه الإنسان فإنه يصله من الأقوال والأفعال غير المستحبة والأخلاق المذمومة ، وكل سكينة وحسن يبلغه الإنسان فإنه حصل من الأقوال والأفعال المحمودة والأخلاق الحميدة .

الفصل الثانى : فى شرح أبواب النار وأبواب الجنة

٤ – اعلم أن البعض يقول إن أبواب النار سبعة ، وأبواب الجنة ثمانية . وهذا كلام صحيح أيضاً ، لذا فإن المشاعر الإنسانية ثمانية أى أن الإدراك الإنسانى ثمانية أنواع، خمسة منها الإحساس الظاهر والخيال والوهم والعقل ، وكل شىء يدركه الإنسان ويعلمه ، يدرك منها خمسة أبواب . آنذاك فإن العقل لا يكون مصاحباً لهذه السبعة ، وهذه السبعة تعمل بلا أمر من العقل ، بل وتكون كل أبواب النار بأمر الطبيعة ، وعندما يظهر العقل ويصبح حاكماً على هذه السبعة ، فإنها تعمل بأمر العقل ، وتصبح كل أبواب الجنة ثمانية . ومن ثم فإن المرور على النار سوف يكون للناس جميعاً فى البداية ، ثم يصلون بعد ذلك إلى الجنة . والبعض يبقى فى النار ولا يستطيع تركها ، والبعض الآخر يعبر منها ويصل إلى الجنة : ﴿ وإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً [٧٢] ﴾ .(مريم /٧١ – ٧٢)

٥ – أيها الفقير ! يظل أغلب الناس فى النار ، ولا يستطيعوا المرور منها : وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِراً مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [١٧٩] (الأعراف / ١٧٩) .

٦ – أيها الفقير ! هذا ما كان يقوله السابقون لنا فى معنى الجنة والنار .

الفصل الثالث : فى شرح منازل النار والجنة

٧ – اعلم أن للنار والجنة منازلا ، وطريق السالكين جميعاً على هذه الجنان والنيران ، وأن للنار والجنة بلهاء أيضاً ، ولهما عقلاء أيضاً ، ولهما كذلك عشاق . وللنار والجنة بلهاء مخالفون ومناسبون ، ولابد أن يكون للنار والجنة عقلاء مناسبون ومهاجرون ، وأن للنار والجنة عشاق للحجاب والكشف .

٨ – أيها الفقير ! إن العشق نار تنطفىء فى قلب السالك ، والأسباب الظاهرية والأفكار الباطنية للسالك كلها أصنام للنفس وحجاب فى طريق السالك لا يحيد عنها مرة واحدة . مادام السالك بلا قبلة ولا صنم [٨٤] ، فإنه يصبح ظاهراً وصافياً ومجرداً . " الله فرد ويحب الفرد " .

٩ – أيها الفقير ! العشق عصا موسى ، وعالم الساحر ، وكل يوم (هو) فى سحر ، أى أنه يمارس الخيال كل يوم فينخدع الناس فى الدنيا بممارسة الخيال . ويفتح العشق فيه على الدنيا ويبتلع كل ما فيها دفعة واحدة . ويجعل السالك طاهراً وصافياً ومجرداً . ومن ثم يصبح السالك اسما للصفاء، مادام أنه لم يكن صوفياً فإنه لا يكون صافياً ، وعندما يصبح صافياً يصير صوفياً .

١٠ – أيها الفقير ! يجب على السالك أن يقطع عدة منازل ليبلغ مقام التصوف ويصبح اسمه صوفياً ، ويجب على الصوفى أن يقطع عدة منازل حتى يصل إلى مقام المعرفة ويصبح اسمه عارفاً . وعلى العارف أن يقطع عدة منازل حتى يبلغ مقام الولاية ، وتصبح شهرته بالولى . إن مقام التصوف مقام عال ، من يصل إليه قليل من السالكين . فمقام التصوف هو حد الولاية .

١١ – أيها الفقير ! مادام العقل لم يبلغ مرتبة العشق ، فعصا السالك إما أن تعمر عالمه ، وإما أن تجعل أعماله الدنيا ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه /١٨) . لذلك السبب ، فمن ينشغل بعمارة الدنيا لا تكون له روح ، وروح العقل العشق ، والعقل بلا عشق لا روح له فيموت وقال عزيز بسر هذا :

لو لم يوجد القلب فكيف يبنى العشق وطنا
ولو لم يوجد العشق فأى عمل يكون للقلب

١٢ – أيها الفقير ! يرد السالك خطاب بان انبذ العقل فإنه قد اتجه إلى الدنيا ، وخوفاً من أن يهلكك أدر وجهك تجاهنا . وإن لم يستطع السالك أن ينبذ العقل فإن العشق ينبذ العقل دوماً ويدير وجهه . السالك فى البداية لا عشق له ، وعندما يبلغ مرتبة العشق فإنه يلقى العقل ، وعندما يلقيه يراه الثعبان فيخاف ، ويكون خوفه هلاكاً للسالك.

١٣ – أيها الفقير ! " بضدها تتبين الأشياء " . إذا لم يظهر نور الله لا يمكن معرفة ظلمة الدنيا ، وكل من يبكى عليها ويتوقف على لذاتها وشهواتها يهلك : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه ٢١) . أى عندما كان الثعبان يرى العقل أمسك به الآن ولا تخف ، فإننا نحلُّ لعبة العصا ، لكن مادام للدنيا شأن ، فإنه يتعثر إلى الآن ، لكن طالما

كان السحر يمارس فى الدنيا إلى الآن يمنعك عن السلوك ، ومادمت تطلب خدمتها فهى خادمة لك ، وتصبح مدداً ومعيناً لك فى طريق الله، ﴿قَالُواْ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف ١٢١) .

١٤ – أيها الفقير ! تلك الأمانة التى عرضت على كل الموجودات، فأبوا جميعاً ولم يقبلوا (أن يحملنها) وقبلها الإنسان ، إنها أمانة العشق . لو لم يكن الإنسان يعلمها فإن العشق أمر صعب وبلاء عظيم لا يقبله أبداً : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (الأحزاب ٧٢).

لقد طال الحديث وابتعدنا عن المقصود ، هدفنا هو بيان الجنة والنار .

الفصل الرابع : فى شرح آدم وحواء

١٥ – اعلم أن النيران سبعة والجنان ثمانية ، لكل جنة نار مقابلة لها إلا الجنة الأولى لا نار فى مقابلها ، لذا فإنها أول المفردات والمركبات أيضاً . هكذا تكون مفردات كل واحدة موجودة ليس لهما ترقى أو عروج وليس لهما حس أو علم ، ولا ألم لهما ولا لذة . من قبيل أنهم جميعاً يتبعون المزاج ، لا مزاج فى المفردات وهو موجود فى المركبات .

عندما لا يكون للجنة الأولى

نار فى مقابلها ، يكون آدم وحواء فى هذه الجنة الأولى، وعندما لا يكون فى هذه الجنة وجود ولا أضداد لا يكون الشيطان فى مقابلها ويخرج كلاهما من هذه الجنة الأولى بخطاب (كن) ، ويبلغا من سماء العدم إلى عالم الوجود فجاء الخطاب بأن : يا آدم اسكن فى هذه الجنة الثانية حيث توجد المفردات فليس فيها جوع أو عطش أو عراء ، وليس فيها عناء القيظ والبرد . ولا تقرب شجرة المزاج ! فعندما تقربها فلابد من الخروج من هذه الجنة الثانية ، وعندما تخرج من هذه الجنة الأولى تصبح سىء الحظ ، أى تصبح محتاجاً ، حينئذ يظهر الجوع والعطش والعرى ومشقة البرد والحر.﴿ فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه ١١٧ – ١١٩) . اقتربا من شجرة المزاج فجاء الخطاب أن : :﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فخرج الثلاثة جميعهم من الجنة الثانية ودخلوا الجنة الثالثة ، وبلغوا من سماء التفريد إلى أرض التركيب ، وأصبحوا فى هذه الجنة محتاجين وجوعى وعطشى وعراة . والجنة الثالثة هذه جنة البلهاء والأطفال . فورد الخطاب ثانية بأن: يا آدم ! اسكن فى هذه الجنة الثالثة حيث فيها نعم كثيرة ، وليس فيها تحريم عليك ولا لوم ولا عذر . فكل ما تريده ومن كل شىء تريد كُلْ ! ولا تقرب شجرة العقل ! وعندما تقترب منها عليك بالخروج من هذه الجنة الثالثة ، وعندما تخرج منها تكون ظالماً : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (البقرة /٣٥ – ٣٦) وعندما اقتربا من شجرة العقل جاء الخطاب ثانية بأن : ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (البقرة /٣٦) خرج الستة جميعهم من الجنة الثالثة ودخلوا الجنة الرابعة .

١٦ – أيها الفقير ! بسبب ذلك أصبحوا ظالمين، وما داموا لم يقربوا شجرة العقل لا يكونوا مكلفين ، ولم يبد عليهم الحلال والحرام ، ولم يصبحوا مأمورين ومنهيين ، ولا يكون هناك لوم أو عذر ، فكل ما كانوا يقولونه ومع كل من كانوا يتحدثون ، وكل ما كانوا يأكلونه ومن كل مكان كانوا يأكلون (فيه) ليسوا بظالمين . عندما اقتربوا من شجرة العقل ، أصبحوا مكلفين ، وبدا الأمر والنهى (لهم) . لو لم يمثلوا للأوامر ويتجنبوا النواهى لأصبحوا ظالمين .

١٧ – أيها الفقير ! خرج الثلاثة من الجنة الثانية ، آدم وحواء والشيطان ، وخرج من الجنة الثالثة ستة هم آدم وحواء والشيطان وإبليس والطاووس والثعبان . فآدم روح ، وحواء جسد ، والشيطان طبيعة ، وإبليس وهم ، والطاووس شهوة ، والثعبان غضب . وعندما اقترب آدم من شجرة العقل خرج من الجنة الثالثة ، ودخل الجنة الرابعة ، فسجدت الملائكة جميعا لآدم إلا إبليس لم يسجد وأبى. أى أن كل القوى الروحانية والجسمانية كانت مطيعة وممتثلة لأمر الروح إلا الوهم لم يكن مطيعاً وممتثلاً للأمر . مهما أردت ألا يطول الكلام فإنه يطول جبرا .

الفصل الخامس : فى شرح الشجرة

١٨ – اعلم أنه قيل إن هناك ثمان جنان ، واعلم أن فى بداية كل جنة (توجد) شجرة ، ولكل شجرة اسم يرتبط اسم تلك الجنة بتلك الشجرة ، فاسم الشجرة الأولى شجرة الإمكان ، واسم الشجرة الثانية شجرة الوجود ، واسم الشجرة الثالثة شجرة المزاج، واسم الشجرة الرابعة شجرة العقل، واسم الشجرة الخامسة شجرة الخلق ، واسم الشجرة السادسة شجرة العلم ، واسم الشجرة السابعة شجرة نور الله ، واسم الشجرة الثامنة شجرة المشاهدة . مادام السالك لا يصل إلى نور الله، فإنه لا يصل إلى المشاهدة .

رفيق نورك من يعرف أنه يراك

إذ لا يمكن أن يراك نور البصر هذا

١٩ – أيها الفقير ! إن الأخلاق المحمودة جنة واسعة جداً ومقبولة ، والأخلاق المرذولة نار فى غاية الضيق والقبح ، ولذة الأخلاق المحمودة فى مقابلة لذة العلم والمعرفة مثل القطرة والبحر .

إن لذة الإدراك لذة فى غاية الحسن ، كذلك فإن الشهوات الجسدية واللذات الجسمانية لا تصل إلى لذة الإدراك . بالنسبة لجواهر الأشياء وحكمتها كأنهما العلم والمعرفة ، وبالنسبة لك ولخالقك فالمعرفة لذة عظيمة . كذلك أيضاً فإن كل جنة نهايتها أفضل ، وكل نار نهايتها أسوأ ، والمعرفة فى تلك الجنة تكون أكثر ، وعندما تكون المعرفة أكثر ، تكون تلك الجنة لهذا السبب أفضل . وكلما صعد الإنسان إلى منازل يكون أعلم ويزداد تحقيقه وطلبه ، ويصعب عليه أكثر. من هنا يكون أكثر خوفاً من (الله) من يكون أكثر علماً : " أنا أعلمكم بالله وأخوفكم من الله " . مهما يكون أعلم عليه أن يحافظ على الظاهر ، فلا

يقول شيئاً ولا يفعله إلا بأدب أو حرمة أو عزة ، وعليه أن يحافظ على الباطن حتى لا يفكر فى شىء لا بالأدب أو باحرمة أو العزة . كلما اقترب أكثر عليه أن يزيد من المحافظة ، مادام لا يبلغ مكاناً عليه أن يكون مستعداً فيه دائماً ، وعليه ألا يكون غائباً للحظة ، ولو غاب طرفة عين وقال كلمة ليست من سر الحضور لكان مأخوذاً وفى عتاب " حسنات الأبرار سيئات المقربين " . هذا هو حضور أهل التصوف، وهو مقام الخشية، وهو مقام المحبة ، والخشية والمحبة قرينان ، وكلاهما بعد علم ، وبسر النظر نفسه قال بأن " المخلصون على خطر عظيم " .

وكل صوفى لم يصل إلى هذا المقام لم يدرك عبقاً من التصوف ، وظن أن التصوف سجادة ومسبحة . أيها المسكين البعيد عن المقام ! إن مقام التصوف مقام عالٍ . أليس للإنسان احترام لذاته عندما يكون احترامه للسجادة والمسبحة؟!

٢٠ – أيها الفقير ! كلما يصعد الإنسان إلى المنازل ، يكون أعلم ويصبح أكثر استعداداً، ويشق الأمر عليه . ومن هنا جاء الخطاب لآدم فى البداية بأن أسكن يا آدم فى هذه الجنة الثانية ، ولا تقرب شجرة المزاج ، فمهما تترقى إلى المنازل ، يكون الأمر أشق عليك . وعندما وصل إلى الجنة الثالثة ، جاء الخطاب مرة ثانية بأن يا آدم ! أسكن فى هذه الجنة الثالثة ، ولا تقرب شجرة العقل ، وعندما بلغ الجنة الرابعة جاء الخطاب بأن يا آدم عندما بلغت فى عروجك شجرة العقل وأصبحت مكلفاً ومأموراً أو منهياً أجعل الجسد كالرجال ، وضع قدماً فى الطريق ، فالبقاء فى الطريق ليس من عمل الرجال ! ومر على هذه النيران والجنان ، ولا تجبر على شىء قط ولا تهرب من سوء القبح ، ولا تتأخر عن الطريق ، فإن هذا الخير والشر من أجللك. مادمت تتربى فى الشمس وظلها وتظهر نفسك للملائكة حيث أجبت عليهم بأنك لا تعرف شيئاً هم لا يعرفونه ، فكن فى سعى وكد ، ولا تقض وقتاً فى طريق ، حينئذ تصل إلى نور الله .

وعندما وصلت عرفت نفسك وعرفتنى وتشرفت بلقائى ، وعندما تشرفت بلقائى ووصلت إلى الجنة الحقيقية واكتملت معرفتك تجدنى ، وتحصل على كلاً العالمين وتعلم كل شىء ، هكذا لا يخفى عليك شىء قط فى الملك والملكوت والجبروت . فالجنة هى الجنة ، واللذة هى اللذة .

٢١ – أيها الفقير ! مادام السالك لا يشرف بلقاء الله ، فإنه لا يعلم الشىء كما هو البته ولا يراه . فلا شأن للسالك أكثر من أن يعرف الحق ويراه ، ويعلم صفات الله ويراها . كل من لا يرى الله ولا يعرف صفاته ، فقد جاء أعمى ومضى أعمى ، عندما يصل السالك إلى نور الله ويتم الرياضات والمجاهدات باقتدار ، ويصل إلى ذلك المقام فإن الله يقول : " كنت له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً ، به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه ينطق " ، ويبلغ ذلك المقام بأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " . عندما بلغ السالك نور الله ، فهو الآن سالك لنور الله ، ومادام سالكاً لنور العقل حتى الآن فقد انتهى أمر العقل ، ولا يزال سالكاً لنور الله . كلما

يفيض نور الله فإن كل الحجب النورانية والظلمانية تتكشف أمام السالك ، فيرى الله ويعرفه . أى أن نور الله يبلغ بحر النور ويراه ، وبعدها يكون مصاحباً لنوره فيستطيع رؤية نوره ويستطيع معرفته .

٢٢ – أيها الفقير ! هذه هى الجنة الثامنة ، وهى عند هذا الضعيف الجنة الأخيرة، وليس هناك جنة أخرى غير هذه الجنان الثمانى ، ولكن البعض يقول إن هناك جنة أخرى غير هذه الجنان الثمانى ، وفى تلك الجنة شجرة ، اسمها شجرة القدرة . عندما يصل السالك إلى نور الله ، ويتشرف بلقائه يصل إلى عين اليقين " أى أنه كان يعلم إلى الآن بعلم اليقين ، والآن يرى وجود الله مباشرة بعين اليقين ، فليس هناك ذرة قط من ذرات العالم لا يكون نور الله عليه بنفسه ، ولا يكون محيطاً بها ، ولا خبيراً بها ، ولا ينهض السالك من وجوده ويؤثر الوجود ويخرج من الغرور والظن .

٢٣ – أيها الفقير ! مادام السالك لا يعبر من مجموعة الحجب الظلمانية والنورانية هذه ، ولا يخرج من الخيال والظن ولا يقدر على المجئ ، فعندما يتجاوز الخيال والظن وعلم باليقين ويراها ظاهرة وأنها جميعاً كانت مشكاة ، يصل إلى ذات الله ، وعندما يبلغ ذات الله ، ويؤثر وجوده فإن الله تعالى يبدل وجود السالك ، فكل ما يقوله ويفعله السالك فإنه يقول ويفعله بالله ، ويصبح السالك عالماً وقادراً، ويصبح صاحب قدرة وصاحب همة :﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ (الأنفال /١٧) . أما فهم هذا الضعيف لم يبلغ هذه الجنة التاسعة بسبب ذلك ، فمن هذه الجنة التاسعة التى تحكى عنها الجماعة لم أر شيئاً فيها ، ولم أر شيئاً أيضاً فى مثيلاتها ، لكننى قد سمعت الكثير (عنها).

الفصل السادس: فى شرح الجنة التاسعة التى أخبر عنها البعض ولا نعلم شيئاً عنها

٢٤ – اعلم أن البعض يقول إن هناك أناساً كل ما يريدونه يفعله الله ، وكل شىء يلزمهم يصبح هو ، ويعقدون الهمة فى كل شىء ، ويصبح هكذا حيث تكون همتهم : " رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره " . أى يكون لهم العلم بالكمال والقدرة بالكمال والهمة بالكمال ، وكل مراداتهم حاصلة ، وكل شىء يريدونه يكون هكذا . لذا فإنهم قد ماتوا بالموت الإرادى قبل الموت الطبيعى، وعبروا من الدنيا وهم فى الآخرة . على سبيل المثال ، لو أرادت هذه الجماعة أن ينزل مطر فى اللحظة التى تمر فى خاطرهم ، يظهر السحاب ويبدأ المطر فى الهطول ، ويختفى السحاب . ولو أرادوا أن يمرض إنسان فإنه يمرض فى الحال ، ولو أرادوا أن يتعافى مريض لقدروا فى الحال ، واعلم دائماً أن الأشياء تكون إجمالاً هكذا . ويقال أيضاً إن هذه الجماعة تذهب من المشرق إلى المغرب فى لحظة، وفى لحظة تعود من المغرب إلى المشرق ، ولو أرادوا السير على الماء، ولو أرادوا الطيران فى الهواء ولو أرادوا المشى فى النار (لفعلوا) . ولو أرادوا أن يراهم الناس أو لا يروهم (لاستطاعوا) ، ويصل رزقهم إليهم جاهزاً يومياً ومعداً بلا سعى أحد أو كده .

٢٥ – حكى أن النبى موسى عندما بلغ صحبة الخضر – عليهما السلام – وظلا معاً ، ذات يوم كانا جائعين فى فلاة ، فحلَّ غزال وربض بينهما . كان ذلك الجانب الذى أمام الخضر مطهياً ، والجانب الآخر الذى أمام موسى كان نيئاً . بدأ الخضر وأكل ، ولم يستطع موسى الأكل ، فأمر الخضر بأن : يا موسى أجمع النار والحطب ، وأشو اللحم واطهيه ، وكُله . فسأل موسى الخضر كيف ناحيتك مطبوخة وناحيتى نيئة ؟! فأجاب الخضر : يا موسى ! أنا فى الآخرة وأنت فى الدنيا، رزق الدنيا مكتسب ورزق الآخرة جاهز ومُعد ، ورزق الدنيا مستألف ورزق الآخرة مستفرغ ، الدنيا مقر العمل والآخرة مقر الجزاء . يصل رزقنا جاهزاً ومُعداً ، ورزقكم موقوف على السعى والكد . ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران / ٣٧) . إنهم يحكون هذا وحكايات أخرى عن الجنة التاسعة .

٢٦ – أيها الفقير ! اليوم الذى أكتب فيه ليس ملكى وليس ملك الرفاق أيضاً ، ومع ذلك : لا إنكار فيه ، لعل الله تعالى يمنحنا ويهبنا فهو القادر على الكمال . وكل ما حدث لنا الآن هو أن القدرة لو وهبت لأحد فهى أمر والشريعة نهيها ، فقد وصلت بواسطة أنبياء الحق وأوليائه من قبل الحق، ليصبح قادراً على قضاء الأمر والبعد عن النهى .

كذلك فكل ما علمناه ووصلنا إليه هو كرامة الإنسان (فى) علم الحق والأخلاق الحميدة، وكل من يزداد علمه وأخلاقه (فضلاً) تكون كرامته وقربه إلى حضرة الحق أكثر.

٢٧ – أيها الفقير ! اعلم أن الناس من ملك ورعية ورسول وأمة، من عالم وجاهل عاجزون ومساكين يعيشون على الحرمان، وإلا فإنهم آنذاك يصلون فى الرضا بالقضاء إلى غاية الكمال . كان الأنبياء والأولياء والملوك والسلاطين فى أغلب الأحوال (يريدون) أشياء كثيرة كانت موجودة ، ولا يريدون أشياء كثيرة موجودة ولا تزال . " وتفرد الحق بالحكم ": يحكم فى ملكه وملكوته وجبروته بنفسه، وهل أيضاً يكون مراد الإنسان وحرمانه فى ألا يكون محباً لمصلحته وغير محب لها ؟

" عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم"

الهوامش :

(١) عزيزالدين نسفى : مجموعهٔ رسائل مشهور به كتاب الإنسان الكامل ، باپيش گفتار هانرى كربن باتصحيح ومقدمهٔ ماريژان موله – انتشارات طهورى ، تهران ١٣٨٨ هـ.ش .
- http://fa.wikipedia.org, p. 1:12.
- http://ar, rasekhoon.net.

(٢) أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة – تحقيق عبدالسلام محمد هارون – الطبعة الثانية – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ، ١٩٧٠م ، مادة " جن " .

(٣) المرجع السابق ، معجم مقاييس اللغة ، مادة " نور " .

(٤) النسفى (عزيزالدين) : رساله" دربيان بهشت ودوزخ " ضمن مجموعه" رسائل مشهور به كتاب الإنسان الكامل ، الفصل الأول ، ص ٣٠٢ .

(*) صحيح الآية : " أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ" – الأعراف : الآية : ١٧٩ .

(٥) دربيان بهشت ودوزخ – الفصل الثانى ، ص ٣٠٣ .

(٦) القشيرى (ابوالقاسم) : لطائف الإشارات – قدمه وحقق له وعلق عليه : د. إبراهيم بسيونى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ٢٠٠٠م – ص ٥٨٩/١ – ٥٩٠ .

(٧) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثانى ، ص ٣٠٢ .

(٨) لطائف الإشارات : مرجع سابق ، ٤٣٨/٢.

(٩) صديق حسن خان : يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار – تقديم وتحقيق د. أحمد حجازى السقا – الناشر مكتبة طلعت بجوار الأزهر – الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١٢٥ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(١١) يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٧ .

(١٢) ابن عربى (محيى الدين) : الفتوحات المكية – ٤ أجزاء – دار صادر بيروت – بدون تاريخ – ٤٤١/٣ .

(١٣) الغزالى (أبوحامد) : إحياء علوم الدين – ٤ أجزاء – نشر مطبعة البابى الحلبى – القاهرة – بدون تاريخ – ٥١٥/٤ .

(١٤) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثانى – ص ٣٠٢ .

(١٥) المرجع السابق ، الفصل الخامس – ص ٣٠٦ .

(١٦) إحياء علوم الدين – مرجع سابق – ٥٢٠/٤ .

(١٧) ابن قيم الجوزية : حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح – قدم له على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة – بدون تاريخ – ص ٩٦ – ١٠٠ .

(١٨) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(١٩) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(٢٠) السلمى (عبدالرحمن) : طبقات الصوفية بترتيب أحمد الشرباصى – نشر كتاب الشعب ، ١٣٨٠هـ – ص ٦٩ .

(٢١) الأشعرى (أبوالحسن) : الإبانة عن أصول الديانة – تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط – الطبعة الأولى – نشر دار البيان بدمشق ، ١٩٨١م – ص ١٢٠ .

(٢٢) السراج الطوسى : اللمع بتحقيق د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور – دار الكتب الحديثة – بيروت – ١٩٦٠م – ص ٤٢٨ .

(٢٣) محمد بن المنور : أسرار التوحيد فى مقامات الشـيخ أبـى سـعيد – ترجمـة : د. إسـعاد عبدالهادى قنديل – دار الرائد العربى – بدون تاريخ – ص ٣٢١ .

(٢٤) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(٢٥) نجم الدين دايه : مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد – ترجمة : على أحمد إسماعيل – رسالة ماجستير – جامعة عين شمس – ١٩٧٧م – ص ٩٧ .

(٢٦) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(٢٧) السهروردى : (أبوحفص) : عوارف المعارف ملحق بإحياء علوم الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٢م – الجزء الخامس – ص ٢٩٣ وما بعدها .

(٢٨) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٤ .

(٢٩) جلال الدين الرومى : مثنوى معنوى – ترجمه وشرحه : د. إبراهيم الدسوقى شتا – ٦ أجزاء – نشر المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٩٦م – ٢٠٨/٢ .

(٣٠) " آتش عشق تو درجان خوشترستدل ز عشقت آتش افشان خوشترست هركه خورد از جام عشقت قطره اى تاقيامت مست وحيران خوشترست"
عطار (فريد الدين) : ديوان فريد الدين عطار نيسابورى باتصحيح ومقدمه : سعيد نفيسى – چاپ سوم – انتشارات كتابجانهٔ – تهران ١٣٣٩ هـ . ش – ص ٤١ .

(٣١) لطائف الإشارات ، مرجع سابق ، ٤٥٢/٢ .

(٣٢) المرجع السابق ، ٤٥٢/٢ .

(٣٣) الفتوحات المكية ، مرجع سابق ، ١٣٥/٢.

(٣٤) المرجع السابق : ٢٧٤/٣ .

(٣٥) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(٣٦) الفتوحات المكية ، مرجع سابق ، ٦٤٧/٢.

(٣٧) المرجع السابق : ١٣٠/٢ .

(٣٨) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الخامس – ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٣٩) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ٣ أجزاء – نشر دار الحديث – بدون تاريخ –٩٦/١ .

(٤٠) إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ٣٧٠/٤ .

(٤١) اللمع ، مرجع سابق ، ص ٢٩٧ .

(٤٢) سيد حسين ابراهيميان : معرفت شناسى در عرفان – چاپ اول – مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامى – حوزيهٔ علمى قم ١٣٧٨ هـ. ش – ص ٣٩ .

(٤٣) سجادى (سيد جعفر) : فرهنگ لغات واصطلاحالت وتعبيرات عرفانى – چاپ دوم – تهران ١٣٥٤ هـ. ش – ص ١٨٦ .

(٤٤) طبقات الصوفية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٤٥) طبقات الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٤٦) اللمع ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٤٧) عمادالدين الأموى : حياة القلوب بهامش قوت القلوب لأبى طالب المكى – جزآن – نشر البابى الحلبى – ١٣١٠هـ – ١٦٧/٢ ، ١٦٨ .

(٤٨) الكمشخانوى (أحمد ضياء الدين) : جامع الأصول – طبع دار الكتب العربية الكبرى – مصر – ١٣٣١هـ – ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٤٩) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الرابع – ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٥٠) د. عبدالرحمن بدوى : شطحات الصوفية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٩م – ص ٢٢ .

(٥١) لطائف الإشارات ، مرجع سابق ، ٨٠/١ .

(٥٢) المرجع السابق ، ٨١/١ .

(*) تكملة الآية الكريمة :﴿ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (طه / ١١٨) .

(٥٣) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الرابع – ص ٣٠٥ .

(٥٤) لطائف الإشارات ، مرجع سابق ، ٤٨٢/٢ – ٤٨٣ .

(٥٥) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الرابع – ص ٣٠٥ .

(٥٦) طبقات الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٥٧) المرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٥٨) إحياء علوم الدين ، ٣٠٤/٢ .

(٥٩) الأحاديث القدسية – نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – جزآن – الطبعة التاسعة – ١٩٩٢م – كما ورد فى صحيح مسلم – ٣١٤/١٠ وما بعدها .

(٦٠) العطار (فريد الدين) : مصيبت نامه بتصحيح وصال نوارنى ، تهران – ١٣٧١ هـ. ش – ص ٣٣٧ .

(٦١) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الرابع – ص ٣٠٥ .

(٦٢) المرجع السابق ، الفصل الخامس – ص ٣٠٧.

(٦٣) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الخامس – ص ٣٠٨ .

(٦٤) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الخامس – ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٦٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – ٤ أجزاء – دار الفكر – ٣٤٩/٣ .

– وقد أخرج هذا الحديث ابن جرير وعبدالرازق وابن أبى حاتم ، وساقه الإمام ابن كثير فى تفسيره .

(٦٦) الغزالى (أبوحامد) : المنقذ من الضلال – حققه وقدم له : د. جميل صليبا ود. كامل عياد – دار الأندلس – بيروت – ١٩٨٠م – ص ٨٦ .

(٦٧) الفتوحات المكية ، مرجع سابق ، ٣٢/٤ .

(٦٨) اللمع ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٦٩) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الخامس – ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٧٠) اللمع ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٧١) الجيلى (عبدالكريم بن إبراهيم) : الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل وبهامشه عدة كتب – جزآن – مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر – مصر – ١٣٦٨هـ – ١٣/١ – ٢٦ .

(٧٢) مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٧٣) لطائف الإشارات ، مرجع سابق ، ٦٠٩/١ – ٦١٠ .

(٧٤) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل السادس – ص ٣٠٩ .

(٧٥) جامع الأصول – مرجع سابق – ص ٢٩١.

(٧٦) السيوطى (جلال الدين) : الجامع الصغير – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٨١م – ٢ / ٨ .

(٧٧) جزء من حديث قدسى ورد فى كتاب الأحاديث القدسية – ص ٨١ .

(٧٨) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل السادس – ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٧٩) لطائف الإشارات ، مرجع سابق – ٢٣٨/١ – ٢٣٩ .

(٨٠) دربيان بهشت ودوزخ : الفصل الثالث – ص ٣٠٣ .

(٨١) اللمع ، مرجع سابق – ص ٥٣٦ .

(٨٢) القشيرى (عبدالكريم بن هوازن) : الرسالة القشيرية فى علم التصوف وعليها هوامش للشيخ زكريا الأنصارى – مكتبة ومطبعة محمد على صبيح – القاهرة – ١٩٦٦م – ص ٢٧٦ .

(٨٣) لطائف الإشارات ، مرجع سابق ، ١٧٥/١ .

(٨٤) بت : صنم وهو كناية عن المحبوب أو المعشوق – فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفانى

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والفارسية :

١ – ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – ٤ أجزاء – نشر دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – بدون تاريخ .

٢ – الأحاديث القدسية : جزآن – نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الطبعة التاسعة – القاهرة – ١٩٩٢م .

٣ – عزيز الدين نسفى : مجموعهٔ رسايل مشهور به كتاب الانسان الكامل – باپيش گفتار هانرى كربن ومقدمهٔ ماريژان موله – انتشارات طهورى – تهران ١٣٨٨هـ. ش .

ثانياً : المراجع العربية والفارسية :

٤ – أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة – تحقيق : عبدالسلام محمد هارون – الطبعة

الثانية – نشر مصطفى البابى الحلبى – القاهرة – ١٩٧٠م .

٥ – الأشعرى (أبوالحسن) : الإنابة عن أصول الديانة – تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط – نشر دار البيان بدمشق – الطبعة الأولى – ١٩٨١م .

٦ – جلال الدين الرومى : مثنوى معنوى – ترجمه وشرحه : د. إبراهيم الدسوقى شتا – ٦ أجزاء – نشر المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٩٦م .

٧ – الجيلى (عبدالكريم بن إبراهيم) : الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل وبهامشه عدة كتب – جزآن – طبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر – مصر – ١٣٦٨هـ .

٨ – سجادى (سيد جعفر) : فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفانى – چاپ دوم – تهران – ١٣٥٤هـ . ش .

٩ – السراج الطوسى (أبونصر) اللمع – بتحقيق : د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور – دار الكتب الحديثة ببيروت – ١٩٦٠م .

١٠ – السلمى (عبدالرحمن) : طبقات الصوفية بترتيب أحمد الشرباصى – نشر كتاب الشعب – ١٣٨٠هـ.

١١ – السهروردى (أبوحفص) : عوارف المعارف ملحق لكتاب إحياء علوم الدين – الجزء الخامس – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٢م .

١٢ – سيد حسين ابراهيميان : معرفت شناسى درعرفان – چاپ اول – مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى – حوزيهٔ علمى قم ١٣٧٨هـ . ش . (فا)

١٣ – السيوطى (جلال الدين) : الجامع الصغير – جزآن – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٨١م .

١٤ – صديق حسن خان : يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار – تقديم وتحقيق : د. أحمد حجازى السقا – الناشر مكتبة طلعت بجوار الأزهر – الطبعة الأولى – ١٩٧١م .

١٥ – د. عبدالرحمن بدوى : شطحات الصوفية – نشر مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٩م .

١٦ – ابن عربى (محيى الدين) : الفتوحات المكية – ٤ أجزاء – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .

١٧ – عمادالدين الأموى : حياة القلوب بهامش قوت القلوب – جزآن – طبعة البابى الحلبى – مكتبة المتنبى بالقاهرة – ١٣١٠هـ.

١٨ – العطار (فريد الدين) : ديوان فريد الدين عطار نيسابورى باتصحيح ومقدمه سعيد نفيسى – چاپ سوم – انتشارات كتابخانهٔ سنائى – تهران – ١٣٣٩ هـ . ش (فا) .

١٩ – الغزالى (أبوحامد) : إحياء علوم الدين – ٤ أجزاء – نشر مطبعة البابى الحلبى – القاهرة – بدون تاريخ .

٢٠ – ---------- : المنقذ من الضلال – حققه وقدم لـه : د. جميل صليبا ود. كامل عياد – دار الأندلس – بيروت – ١٩٨٠م .

٢١ – القشيرى (عبدالكريم بن هوازن) : الرسالة القشيرية فى علم التصوف وعليها هوامش للشيخ زكريا الأنصارى – نشر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده – القاهرة – ١٩٦٦م .

٢٢ – ---------- : لطائف الإشارات – قدمه وحققه وعلق عليه : د. إبراهيم بسيونى – ٣ أجزاء – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٠م.

٢٣ – ابن قيم الجوزية : حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح – قدم لـه : على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة – بدون تاريخ .

٢٤ – ---------- : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ٣ أجزاء – نشر دار الحديث – القاهرة – بدون تاريخ .

٢٥ – الكمشخانوى (أحمد ضياء الدين) : جامع الأصول – طبع دار الكتب العربية الكبرى بمصر – ١٣٣١هـ .

٢٦ – محمد بن المنور : أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد – ترجمة : د. إسعاد عبدالهادى قنديل – دار الرائد العربى – القاهرة – بدون تاريخ .

٢٧ – نجم الدين دايه : مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد بسعى واهتمام شمس العرفا – نشر سازمان انتشارات سنائى – بدون تاريخ (فا) .

ثالثاً : الرسائل العلمية :

٢٨ – نجم الدين دايه : من المبدأ إلى المعاد – ترجمة : على أحمد إسماعيل – رسالة ماجستير – مخطوطة بجامعة عين شمس – ١٩٧٧م .

رابعاً : شبكات الانترنت :

1 – http://fa wikipedia.org

2 – http://ar.rasekhoon.net